الجهاد ذروة سنام الإسلام

التوحيد

العدد ٦٤٧ السنة الرابعة والخمسون - ذو القعدة ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٤٧ السنة الرابعة والخمسون - ذو القعدة ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

شكر واجب
لفضيلة المفتي
ودولة رئيس الوزراء

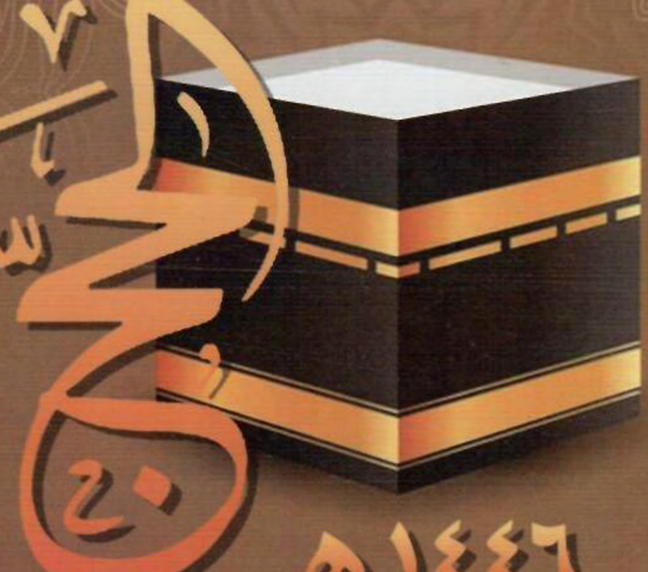

الحج المبرور
ليس له جزاء إلا الجنة

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولارًا أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري .

السلام عليكم

حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً

فُرض الحج على الصحيح سنة تسع من الهجرة، وهي سنة الوفود التي نزلت فيها سورة آل عمران، وفيها قول الله تعالى: (ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا) (آل عمران: ٩٧).

حكم الحج الفرضية، وهو من أركان الدين، ودليله ما سبق من الآية الكريمة، وكذا جاء في السُّنة ما يدل عليه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان». متفق عليه.

جزاء الحج المبرور: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حجَّ لله، فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه». متفق عليه.

ويكون إتمام الحج والعمرة لله وحده؛ قال الله تعالى: (وأتموا الحجَّ والعُمرةَ لله) (البقرة: ١٩٦)؛ ففي مناسك الحج والعمرة إظهار لتوحيد الله تعالى، واجتناب قول الزور، ومنه الشرك بجميع مظاهره وصوره ودرجاته.

رزقنا الله وإياكم حجًا مبرورًا، وذنبًا مغفورًا.

والله ولي التوفيق

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

افتتاحية العدد	الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد	٢
باب التفسير	د. عبد العظيم بدوي	٥
العقل ودوره في مسائل العقيدة	د. عبد الله شاكر	٨
شكر واجب لفضيلة المفتي، ودولة رئيس الوزراء	د. أيمن خليل	١١
باب السنة	د. جمال المراكبي	١٧
صور الوحي في الآيات والأحاديث	الشيخ مصطفى البصراتي	٢١
كيف نستعد لرحلة الحج؟	الشيخ صلاح نجيب الدّق	٢٤
واحة التوحيد	د. علاء خضر	٢٨
المسجد بيت كل تقي	د. محمد حامد	٣٠
الحج مدرسة تربوية	د. محمد محمود العطار	٣٣
تحذير الداعية من القصص الواهية: قصة: بيان أصول أذكار الصوفية	الشيخ علي حشيش	٣٦
ولله الأسماء الحسنى	إعداد الشيخ إبراهيم حافظ رزق	٤٠
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال	د. محمد عبد العليم الدسوقي	٤٣
اتباع الهوى من الإفساد في الأرض	د. محمد عبد العزيز	٤٧
امتحان الدنيا وامتحان القبر!!	الشيخ صلاح عبد الخالق	٥٢
الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة	الشيخ عبده أحمد الأقرع	٥٥
الطائفة المنصورة بين الطوائف المنكوبة	د. أحمد بن سليمان أيوب	٥٨
غزوة حمراء الأسد	د. سيد عبد العال	٦١

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

الجهاد ذروة سنام الإسلام

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

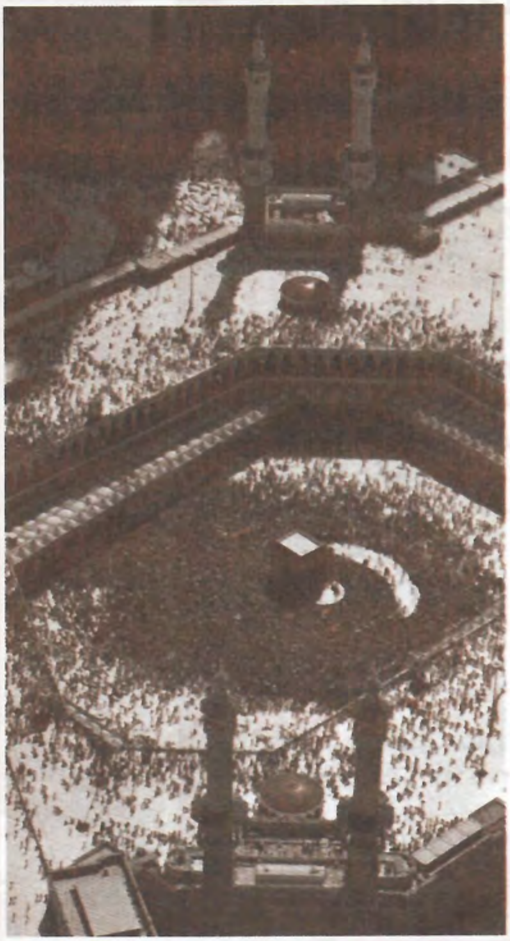

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فإن كلمة الجهاد، وما تدلّ عليه في الإسلام من الكلمات؛ قد ذهب الناس فيها مذاهب شتى حتى صار الكثير منهم إلى طرفي نقيض، فمنهم من أنكر أمر الجهاد أصلاً ورفضه، ومنهم من دعا إليه ليخدم أفكاره الهدامة، ومعتقداته الفاسدة، فأوقع الكثير من الشباب في سُبل الهلاك بتحريضهم على العنف في التغيير؛ ظنًّا منه أنه الجهاد.

والجهاد في الإسلام هو ذروة سنامه؛ لأنه يكون لإعلاء كلمة الله تعالى: «وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ» (البقرة: ١٩٣).

قال الإمام الطبري رحمه الله: (يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة يعني: حتى لا يكون شرك بالله وحتى لا يُعْبَد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة

لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان، والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام ومن أفضل ما يَتقرب به العبد لربه).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دُلّني على عمل يَعدل الجهاد، قال: «لا أجده» قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟» قال: ومَن يستطيع ذلك؟ صحيح البخاري (٢٧٨٥).

قال ابن حجر: "وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل الله تقتضي أن لا يعدل الجهاد شيء من الأعمال.

وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَوْضِعُ سَوْطٍ في الجَنَّة، خَيْرٌ منَ الدُّنْيا وما فيها، ولَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللَّهِ أوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ منَ الدُّنْيا وما فيها" صحيح البخاري (٦٤١٥).

قال ابن حجر: الغدوة: وهو الخروج في أيّ وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والروحة: وهو الخروج في أيّ وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها.

وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحبُّ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا وله ما على الأرْضِ من شيءٍ إلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا، فيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِما يَرى مِنَ الكَرامَةِ» صحيح البخاري (٢٨١٧).

والجهاد الشرعي له من الضوابط والشروط المستمَدة من القرآن والسنة ما تحدث به الفقهاء تفصيلاً. ومن هذه الضوابط: عدم الخروج للجهاد إلا بإذن الأبوين. ففي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحيٌّ والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجَاهِدْ». صحيح البخاري (٣٠٠٤).

قال ابن حجر: "قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما إذا كانا مسلمين؛ لأن برّهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية، والدعوة للجهاد ليس عملاً تطوعيًا من الأفراد ولا ممن ليس له صفة أو غلبة، وإنما هو موكول للجهات المسؤولة، ولا بد أن يكون تحت راية، فلا يحق لآحاد الناس الخروج للجهاد في أيّ مكان إلا تحت راية، والراية تكون لولي الأمر، وأولياء الأمور اليوم هم رؤساء الدول وملوكها ومؤسساتها العسكرية.

> **الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام ومن أفضل ما يتقرب به العبد لربه.**

قال الشيخ تقي الدين: "يجب أن يُعرَف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس؛ حتى قال صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم».

واشتراط إعلان الجهاد تحت راية ولي الأمر ليس بدعًا من القول، وإنما هو مستمَد من

الكتاب والسنة، ومن ذلك إشارة القرآن في قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ » (الأنفال: ٦٥)، وقوله تعالى صراحة في إذن الإمام صلى الله عليه وسلم: « فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ » (التوبة: ٨٣).

والسُّنة تُفصِّل ما أجمله القرآن من ضرورة إذن ولي الأمر للخروج للجهاد كما في الصحيح عن عائشة أم المؤمنين قالت: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال: « جهادكن الحجّ ».

وفي سنن أبي داود من حديث معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الغزو غزوان: فأما من ابتغى وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك (كان سهلاً من رفيقه)، واجتنب الفساد: فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرًا ورياءً، وسمعةً، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض فإنه يرجع بالكفاف » صحيح أبي داود (٢٥١٥).

وفي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح: « لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استُنفرتم فانفروا ».

قال ابن حجر: "قال النووي: يريد أن الخير الذي انقطع بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة، وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد، ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه".

قال: وفي الحديث وجوب الخروج في الغزوة على من عينه الإمام.

وقد بوّب البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب « يقاتل من وراء الإمام » أورد حديثِ أبي هريرة: « مَن أطاعَني فقَدْ أطاعَ اللَّهَ، ومَن عصاني فقَدْ عصَى اللَّهَ، ومَن يُطِع الأميرَ فقَدْ أطاعَني، ومَن يَعْصِ الأميرَ فقَدْ عَصاني، وإنَّما الإمامُ جُنَّةٌ يُقاتَلُ مِن ورائه ويُتَّقَى به، فإنْ أمَرَ بتَقْوَى اللَّهِ وعَدَلَ، فإنَّ له بذلكَ أجْرًا، وإنْ قالَ بغَيْرِه فإنَّ عليه منه. (صحيح البخاري: ٢٩٥٧).

طريقة أهل السنة والجماعة أنهم يرون إقامة الحج والجهاد والجُمع والأعياد مع الأمراء: أبرارًا كانوا أو فجارًا.

وقد أخذ فقهاء الأمة بما في الكتاب والسنة: فقال شيخ الإسلام (المتوفى سنة ٧٢٨هـ): "من طريقة أهل السنة والجماعة أنهم يرون إقامة الحج والجهاد والجُمَع والأعياد مع الأمراء: أبرارًا كانوا أو فجارًا".

وقال صاحب كشاف القناع المتوفى (١٠٥١هـ): "ولا يجوز الغزو إلا بإذن الأمير؛ لأنه أعرف بالحرب، وأمرها موكول إليه".

وليس هذا معناه التخاذل عن نصرة المستضعفين في فلسطين وغيرها، بل ونحمد غيرة المسلمين على إخوانهم، وندعو ولاة الأمور للوقوف أمام هذا الظلم الفادح، ونسأل الله لهم التوفيق والسداد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سورة الأحزاب

قال الله تعالى: « وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا »

(الأحزاب: ٢٦- ٢٧).

إعداد: د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

غزوة بني قريظة

لما رجعت الأحزاب لم ينالوا خيرا رجعوا إلى ديارهم وأوطانهم، وعادت كل قبيلة إلى أرضها، وعاد الرهط اليهودي الذين أخرجوهم من ديارهم لغزو المدينة إلى أرضهم بخيبر حيث جاءوا، فلما رأت بنو قريظة أنهم وحدهم قريبون من النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين سقط في أيديهم، ورأوا أنهم قد هلكوا بسبب غدرهم ونقضهم عهد النبي صلى الله عليه وسلم وميثاقه، فدخلوا حصونهم، وأغلقوا أبوابهم، وجلسوا ينتظرون ما يفعل بهم.

ودخل حيي بن أخطب النضري الذي كان قد جمع الجموع وحزب الأحزاب لغزو المدينة مع أبي رافع بن أبي الحقيق، دخل حيي مع بني قريظة حصونهم وفاءً بعهده لسيدهم كعب بن أسد القرظي؛ حيث كان حين دعاه إلى نقض العهد والغدر أعطاه عهدا وميثاقا، إن لم يكن ما أراد من استئصال المسلمين أن يرجع فيدخل معه في حصنه ليصيبه ما أصابه.

أمر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بغزو بني قريظة:

ورجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ووضع السلاح، وأخذ يغتسل ليزيل هذا التراب الذي غبر جسده الشريف، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله! أو قد وضعت السلاح؟ قال: نعم، قال: فو الله ما وضعناه، اخرج إليهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلى أين»؟ قال: هاهنا، وأومأ إلى بني قريظة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه الراية، فانطلق بها إلى بني قريظة، ثم لبس النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه ونادى في المسلمين: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» (صحيح البخاري: ٩٤٦).

وكان ذلك بعد صلاة الظهر فوافق هوى في نفوس الصحابة، فطاروا إلى بني قريظة زرافات ووحدانا، يرجون الله تبارك وتعالى أن يشفي صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم، خرجوا إلى بني قريظة سراعا وهم واثقون من النصر المؤزر الذي ينتظرهم، لأن خروجهم كان بأمر الله تبارك وتعالى، وها هو جبريل-عليه السلام- قد سبقهم إلى بني قريظة.

عن أنس-رضي الله عنه- قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل- عليه السلام- حين سار رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى بني قُريظة». (صحيح البخاري: ٤١١٨).
ووصل عليٌّ -رضي الله عنه- إلى حصون بني قريظة، ثم تتابع المسلمون في الوصول، وأدركتهم الصلاة في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي إلا في بني قريظة كما أمرنا، وقال بعضهم: إنما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم حثنا على سرعة السير، ولم يرد أن نؤخر الصلاة، فذكر ذلك للنبيِّ صلى الله عليه وسلم فلم يعنف أحدًا منهم. (صحيح البخاري: ٩٤٦).

حصار المسلمين بني قريظة:

وحاصر المسلمون بني قريظة، وطال الحصار، فلمّا مضت عشر ليالٍ قال كعب بن أسد القرظيّ لقومه، وقد أيقن أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لن يرجع عنهم حتى يُنازلهم، قال كعب لقومه: يا معشر اليهود! قد رأيتم ما نزل بكم، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثًا، فخذوا بما شئتم منها، قالوا وما هن؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدّقه، فو الله لقد تبيّن لكم أنه نبيٌّ مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون به على أنفسكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدًا، ولا نستبدل به غيره.
فقال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك: نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدنّ النساء والأبناء. فقالوا: أنقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟
فقال: فإن أبيتم عليَّ هذه فالليلة ليلة السبت، فلعل محمدًا وأصحابه قد أمنونا فيها -لظنّهم أن اليهود يحترمون السبت، ولا يعملون فيه كما حرّم عليهم- فلننزل إليهم فلعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرّة، أي نأخذهم على غفلة فنهزمهم ونقتلهم وننتصر عليهم. فقالوا: لا والله لا نعتدي في السبت، ولا نحدث فيه حدثًا لم يحدثه غيرنا ممن كان قبلنا إلا من قد علمت، ولم يخف عليك ما أصابهم من المسخ. فقال: والله ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازمًا أبدًا. ثم سكت وسكتوا. (البداية والنهاية: ٤/١٢٠).

قتل امرأة من بني قريظة رجلا من الأنصار:

وطال الحصار، وخرجت امرأة فأتت برحى لها وصعدت سطحًا من أسطح الحصن فرمت الرحى على رجل من الأنصار فقتلته، وحاولت قريظة أن يحصلوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم على عفو مطلق أو مقيد، ولكن هيهات هيهات.

استسلام بني قريظة وتحكيم النبيِّ صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فيهم:

ثم قذف الله في قلوبهم الرُّعب، تلك القذيفة التي تفعل في القلوب ما لا تفعله قذائف النابلم في الحصون، قذف الله في قلوبهم الرُّعب، فشلت العقول عن التفكير، وشلت الأيدي عن الحركة، ورأى بنو قريظة أنفسهم ينزلون من الحصون كرهًا، ويستسلمون قهرًا، فنزلوا على حكم النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقامت الأوس إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم يستوهبونهم منه صلى الله عليه وسلم كما استوهبت من قبل الخزرج يهود بني قينقاع، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم»؟ قالوا: نعم. فرد صلى الله عليه وسلم الحكم في بني قريظة إلى كبير الأوس وسيدهم سعد بن معاذ -رضي الله عنه-، ففرحت الأوس كما فرحت اليهود بتحكيم سعد بن معاذ -رضي الله عنه-، وظنوا أنه سيرضيهم بحكمه فيهم.
وكان سعد -رضي الله عنه- قد رُمي يوم الخندق، رماه رجل من المشركين فأصاب عرقًا في يده، فنزف دمًا كثيرًا، فدعا سعد ربه، فقال: «اللهم لا تخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قريظة، فاستمسك عرقه، فما قطر قطرة». (صحيح سنن الترمذي: ١٥٢٨).
فضرب النبيُّ صلى الله عليه وسلم قبة لسعد في المسجد ليكون قريبًا منه، فلما رضيت الأوس بحكم سعد بن معاذ في بني قريظة بعث إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم فجيء به على حمار، فلما دنا من النبيِّ صلى الله عليه وسلم ومجلسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوموا إلى سيدكم». فقاموا إليه فأنزلوه. فلما اقترب من النبيِّ صلى الله عليه وسلم والأوس حواليه يستعطفونه ويسترحمونه، يقولون: يا أبا عمرو! حلفاؤك ومواليك، وأهل النكاية، ومن قد علمت، يظنون أن استعطافهم هذا واسترحامهم لسعد سيؤثر في

قَلْبه حتَى يُخفف منْ حُكْمه في بني قُريْظة. فقال له النّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ هـؤلاء نزلوا على حُكْمك». قال: فإني أحْكم أنْ تُقتل المقاتلة، وأنْ تُسبى الذّرِّيَّة. قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لقدْ حكمْت فيهمْ بحُكْم المَلِك». (صحيح البخاري ٣٠٤٣).

ثُمّ استنْزلوا، فحبسهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في دار امْـرأة منْ بني النّجار، وأتـى سُوق المدينة فخنْدق فيها خنادق، ثُمّ طفق يبْعثُ إليْهمْ، فيُؤْتى بهمْ أرْسالاً، فتُضْربُ أعْناقُهُمْ. فقالوا وهُمْ كذلك لكعْب: ما ترى يُصْنعُ بنا؟ فقال كعْبٌ وقدْ امْتلأ غيْظاً على قوْمه: أفي كل موْطن لا تعْقلون؟ ألا تروْن الدّاعي لا ينْزعُ، ومنْ يذْهبُ به منْكمْ لا يرْجعُ، هُو والله القتْل. فلمْ يزلْ ذلك الدّأب حتّى قتلوا عنْ آخرهمْ.

وجيء بحُيَيّ بْن أخْطب النّضْريّ، فلمّا رأى الرّسُول صلى الله عليه وسلم قال- لعنهُ الله-: والله ما لُمْتُ نفْسي في عداوتك. ولكنّهُ منْ يخْذل الله يُخْذلْ. ثُمّ أقْبل على النّاس فقال: أيُّها النّاسُ، لا بأْس بأمْر الله، كتابٌ وقدرٌ، وملْحمةٌ كُتبتْ على بني إسْرائيل، ثُـمّ جلس فضُربتْ عُنُقُهُ، لعنهُ الله. (البداية والنهاية: ٤/١٣٤).

قتل المرأة التي قتلت الأنصاري:

ولمْ يُقْتلْ من الصِّبْيان صبيٌّ واحدٌ، ولمْ يُقْتلْ من النِّساء إلا تلْك المرْأة الّتي قتلت الأنْصاريّ بالرّحى التي ألْقتها عليْه منْ فوْق سطْح الحصْن.

فلمّا قتل رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم رجالهُمْ، أخـذ يقْسمُ أمْـوالـهُـمْ ونساءهُمْ بعْد أنْ أخْـرج الخُمُس، واصْطفى صلى الله عليه وسلم لنفْسه ريْحانة، فعرض عليْها الإسْلام فأبتْ، ثُمّ أسْلمتْ بعْد ذلك، فسُرّ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لإسْلامها. (البداية والنهاية: ٤/١٣٦).

وفي بني قُريْظة أنـْزل الله تبارك وتعالى قوْلهُ: «وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» (الأحزاب: ٢٦- ٢٧).

ولمْ تـذْكـر الآيـاتُ بني قُريْظة صراحة، وإنّمـا قال تعالى: «وأنـزل الّذين ظاهرُوهُم» أيْ: عاونوا الأحْـزاب وساعدُوهُمْ على حـرْب الرّسُول صلى الله عليه وسلم، ولعـلّ التّكْنية عنْهُمْ بقوْله: «ظاهرُوهُم» إشْعارٌ بالعلاقة الوثيقة بيْن الغزْوتيْن، غـزْوة الأحْـزاب، وغـزْوة بنـي قُريْظة، وإعْـلامٌ بأنّ الثّانية كانتْ نتيجة منْ نتائج الأولـى، وأثـرًا منْ آثارها، والجزاءُ منْ جنْس العمل، فكما أنّ اليهُود حالفُوا المُشْركين، وتظاهرُوا على إخافة المُسْلمين في غزْوة الأحْزاب، فإنّ الله سُبْحانهُ ردّ هذه الإخافة إلـى بني قُريْظة، وملأ قُلوبهمْ رُعْبًا، فلمْ تُفْلحْ حُصُونُهُمُ المنيعةُ في ردّ الرُّعْب عنْهُمْ، وأهْبطهُمْ الخـوْف منْها، فأُسيمُوا ذُلّ الأسْـر، وأذيـقـوا ألم التّقْتيل، «فريقًا تقْتُلون» وهُمُ الرّجالُ المُقاتلون، «وتأْسرُون فريقًا» وهُمُ النّساءُ والصِّبْيانُ، «وأوْرثكُمْ أرْضهُمْ وديارهُمْ وأمْوالهُمْ وأرْضًا لمْ تطئوها»: قيل خيْبر، وقيل مكّة، وقيل فارسُ والـرُّومُ، قال ابْنُ جرير رحمهُ الله: ويُمْكنُ أنْ يكون المُرادُ الجميع، «وكان الله على كل شيْء قديرًا».

وهكذا طوتْ هاتان الآيتان أحْداث الغزْوة العديدة، ممّا هُو مبْسُوط في كُتب السِّيرة، وأحْكمتاها في تسْع وعشْرين كلمة، فأيُّ إعْجاز هذا الّذي رسم بتلْك الكلمات التّسْع والعشْرين صُورة معْركة بكاملها، منْ تدْبير، وزحْف، وحصار، وانْزال من الحُصُون، وأسْر، وقتْل، ومُصادرة للأمْوال، واسْتيلاء على الأرْض. ممّا يدُلُّ دلالة واضحة على أنّ هذا القرْآن لا يُمْكنُ أنْ يكون أبدًا منْ عنْد غيْر الله.

الحكمة في قتل بني قريظة:

وهكذا طهُرت المدينةُ المُنوّرةُ منْ رجْس يهُود، واسْتراح أهْلُها منْ شرّهمْ. وما منْ شكّ أنّ حُصُون بني قُريْظة هذه لوْ بقيتْ، وبقي فيها المكْرُ اليهُوديُّ يُرْسلُ شواظهُ على المُسْلمين في المدينة، لكان أمْرًا لا يُـدْركُ إلّا بعْد وُقُوعه، ولاسْتطاع المُشْركون أنْ يُعيدُوا الكرّة على المدينة بالتّواطُؤ مع يهُود بني قُريْظة، فتقعُ في قبْضتهمْ، ويُوأدُ الإسْلامُ في مهْده قبْل أنْ يسْتوي على سُوقه، ولكنّ الله سلّم، وسقط في أيْـدي اليهُود كما سقط منْ قبْلُ في أيْدي الأحْزاب، ورأى المُؤْمنُون بأُمّ أعْيُنهمُ المُعْجزة السّماوية تتجلّى في بهاء واسْتعْلاء، يُظْهرُها الله سُبْحانهُ لأوْلـيـائـه لـيـزْدادُوا إيمانًا مع إيمانهمْ. (السيرة النبوية العطرة: ص٣٢٧).

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

مسائل علم التوحيد

العقل ودوره في مسائل العقيدة

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد: فقد تكلمنا في المقالة السابقة عن العقل وأهميته في إدراك الأشياء وما فيه من تفاوت بين أصحابه، ثم بيّنا دور العقل وموقعه من المعرفة؛ والسؤال هنا: هل العقل يستقل وحده بالمعارف؟ هذا ما سنبينه في هذه المقالة بعون الله تعالى:

والداعي لهذا أن العقل أحد مصادر المعرفة، ومع ذلك يلزم إثبات أن النقل مُقدَّم على العقل، وأن العقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح.

العقل أحد مصادر المعرفة:

أ- مجالات العمل العقلي:

العقل في الإنسان كغيره من الصفات الكمالية، فهو وإن كان كمالًا في حق الإنسان؛ إلا أن له حدودًا لا يتجاوزها، وأقدارًا لا يتخطاها؛ فالإنسان ذاته مخلوقة، وصفاته كذلك يعتريها ما يعتري المخلوق من القوة والضعف والوجود والعدم، والعقل جعل الله تعالى له حدًّا في إدراكه للأشياء، ينتهي إليها لا يتعداه، فلم يجعل له سبيلًا إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كان كذلك لتساوى مع العليم سبحانه وتعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون.

ولا شك أن هذا لله وحده دون سواه، فالذي يعلم السر والنجوى ويعلم ما يكون وما سيكون هو رب العالمين وحده دون سواه، ولو كان العقل يدرك كل مطلوب؛ لاستغنى الخلق به عن الوحي والنبوات، والله-تعالى- يقول: «مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ» (الإسراء: ١٥).

والمقصود بالإدراك هنا: العلم بالشيء بذاته جملةً وتفصيلًا، وأيضًا العلم بصفاته وأحواله وأفعاله وأحكامه جملةً وتفصيلًا، فالله-تعالى- محيط بكل ذلك على وجه التمام والكمال، بحيث لا يعزب عن علمه مثقال ذرة منه، والعبد بخلاف ذلك، وإن أدرك فإدراكه يكون لبعض ذلك، وهذا البعض فيه قصور وضعف؛ وذلك لأن العبد تعتريه الغفلة والنسيان والجهل، ولا شك أنه لا يحيط بكل شيء علمًا؛ لأن هذا من صفات علام الغيوب سبحانه وتعالى بل إن الضعف والقصور والنقص-لا شك- أنها من صفات العبد، ويتنزه رب العالمين سبحانه وتعالى عن ذلك.

ومثال ذلك: هذه الروح التي هي سر الحياة

في الإنسان، تخرج منه فيكون الموت، وتدخل فيه فتكون الحياة، وتنفصل عنه في النوم نوع انفصال فتقطع المسافات الشاسعات، وتزور البلاد النائيات، وتفعل من الأعاجيب ما لا يقع على بال، ويرى المرء في نومه ما لم يكن يحظى برؤيته في اليقظة؛ ومع ذلك لا تعرف لهذه الروح كيفية معينة، ولا حقيقة مدركة، غير أنها تذهب وتجيء، وتصعد وتهبط، وتدخل وتخرج، وهي حية عالمة قادرة سميعة بصيرة، إلى غير ذلك من صفاتها مما وردت به النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية.

ومع ذلك، فالعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها؛ ولذا لما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح-أي: عن كيفيتها وحقيقتها- كان الجواب من الله العليم الحكيم بقوله: « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » (الإسراء: ٨٥)، وهذا يدلّ على ضعف الإنسان ولا شك؛ لأن هذه الروح قائمة فيه، ومع ذلك لا يعرف حقيقتها ولا يدرك كنهها؛ وبالتالي فعلمه يشتمل على الضعف والعجز والقصور.

أقسام العلوم:

تنقسم العلوم من حيث إدراك العقل لها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: العلوم الضرورية:

وهي التي لا يمكن التشكيك فيها؛ إذ إنها تلزم جميع العقلاء ولا تنفك عنهم، كعلم الإنسان بوجوده، وأن الاثنين أكثر من الواحد، واستحالة الجمع بين النقيضين أو رفعهما، إلى غير ذلك مما يسمى بقوانين العقل الضرورية.

الثاني: العلوم النظرية:

وهي التي تكتسب بالنظر والاستدلال، وهذا النظر لا بد في تحصيله من علم ضروري يستند إليه؛ حتى يعرف وجه الصواب فيه، وهذا القسم تدخل فيه كثير من العلوم، كالطبيعيات والرياضيات والطب والصناعات، وهو نوعان: نوع يتمحض العمل فيه للعقل؛ وهذا يكون عادة في العلوم المفضلة، والآخر يكون بالنظر في أدلة الشرع، وبذل الوسع لإقامة العبودية.

قال الشافعي-رحمه الله- في قوله تعالى: « وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ » (النحل: ١٦) قال: فخلق لهم العلامات، ونصب لهم المسجد الحرام، وأمرهم أن يتوجهوا إليه، وانما توجههم إليه بالعلامات التي خلق لهم، والعقول التي ركّبها فيهم، والتي استدلوا بها على معرفة العلامات، وكل هذا بيان ونعمة منه؛ جل ثناؤه.

الثالث: العلم الذي لا يُعلم بواسطة العقل:

وهو القسم الذي لا يعلم بواسطة العقل، إلا أن يعلمه العقل بأن يجعل له طريقًا للعلم به، وذلك كالغيبيات؛ سواء كانت من قبيل ما يعتاده علم العبد، كعلمه بما تحت رجليه، وعلمه بالبلد القاصي عنه الذي لم يتقدم له به عهد أو لا، وكعلمه بما في اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، وتفاصيل ذلك، فهذا لا يُعلم إلا عن طريق الخبر.

ب- موقع العقل من المطالب الاعتقادية:

وهذه في الحقيقة مسألة مهمة لا بد من بيانها وتوضيحها، وقد تقدم في النقطة السابقة: أن المدركات العقلية تنقسم إلى علوم ضرورية وممكنة، يعني: مكتسبة، وممتنعة.

أما العلوم الضرورية؛ فقد جادل الإسلام بها أصحاب العقائد الفاسدة وحاكمهم إليهم؛ لأنها قوانين فطرية لا ينكرها إلا مكابر أو جاهل لا يتصور ما يقول، فكان يطالبهم بالجمع بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين، وإلحاق الشيء بنظيره والفرع بأصله، والاستدلال بالأثر على

المؤثر، ويُذكّرهم دائمًا بتحكيم العقل والبعد عن الهوى، فيُلجئهم إلى موقف حرج مع أنفسهم حتى يظهر لهم التناقض والتنافر بين ما يعتقدونه من عقائد، وبين القوانين العقلية التي يستوي فيها كل الناس، فلا يبقى أمامهم إلا الكفر بعقائدهم، وموافقة الأحكام العقلية، ومن ثم الدخول في دين الله تعالى؛ دين الفطرة، أو البقاء على ما هم عليه مع شهادتهم على أنفسهم بالتناقض والاضطراب، كما هو حال أهل الشرك والضلال.

قال الله تعالى-حاكيًا مقالة بعضهم-: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» (الأنفال: ٢٢)، قال ابن كثير- رحمه الله-: هذا من كثرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم وعتوّهم، وهذا مما عِيبُوا به، فقد كان الأولى لهم أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفّقنا لاتباعه.

أما العلوم التي لا تدركها العقول: فمنها مسائل الاعتقاد، ولا سيما المسائل التفصيلية منها، فالعقول ما كانت لتعلم بها أبدًا لولا مجيء الوحي بها وذِكْره لأدلتها العقلية؛ لأن العقول قاصرة عن إدراك ذلك، ولا شك أن هذا في غير المسائل الكبار من الإقرار بوجود الله وتوحيده ونحو ذلك، فإن النفوس مفطورة على معرفة خالقها، لكن المقصود هو تفاصيل هذه المسائل- يعني: أن العقل لا يستطيع أن يعرف تفاصيل المسائل العقدية بحال- وهي المسائل التي استقل الوحي بتعريفها وبيانها، وأرشد العقول إلى طرق العلم بها، فالعقول ما كانت لتدركها لولا تنبيه الوحي وإرشاده إلى طرق معرفتها.

وأيضًا: فإن كثيرًا من مسائل الاعتقاد-بعد معرفتها والعلم بها عند العقول- لا تدرك العقول حقيقتها وكيفياتها، كصفات الله تعالى وأفعاله، وحقائق ما ذكر من أمور اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، وما في الجنة والنار من النعيم والعذاب. والعقل-وإن كان لا يدرك ما هي عليه من الكيفيات- فهو أيضًا لا يُحيل ذلك، ولا يمنع إمكان وجوده؛ لأن عدم إدراكه لها إنما هو نتيجة افتقاره إلى وسائل العلم بها، فالعلم بالشيء فرع عن تصوره، والتصور لا يقوم إلا على معطيات حسية، وهذا أمر متعذر بالنسبة لمسائل الغيب، والشريعة كما قيل: جاءت بمحارات العقول لا بمحالاتها.

أما إمكان وجود مسائل الغيب، فالعقل يقر به ولا يحيله؛ لأن الإمكان الخارجي قد يكون بعلم العبد بوجود الشيء نفسه أو وجود نظيره، أو وجود ملزومه، أووجود شيء أبلغ في الموجود من ذلك الأول.

ولهذا ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم لتقرير مسائل الغيب؛ تنبيهًا للعقول على إمكان وجودها، فاستدل على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى، وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض، وهي أعظم وأبلغ في القدرة، وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة بعد إنزال الماء عليها، إلى غير ذلك من الأمثال المضروبة في القرآن الكريم.

يقول الإمام ابن تيمية-رحمه الله تبارك وتعالى-: وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية-وإن كان معلومًا بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الإلهية- فهو أيضًا معلوم بالأمثال المضروبة التي هي المقاييس العقلية.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

شكر واجب لفضيلة المفتي ودولة رئيس الوزراء

إعداد
د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واستن بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين، أما بعد: فيشترط لوجوب صيام رمضان (ثبوت الشهر) أي دخول شهر رمضان، والذي يكون بأحد أمرين:

أولهما: رؤية هلال رمضان لقوله تعالى: "فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ"، ولحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صُومُوا لِرُؤْيَتِه، وأفطِرُوا لِرُؤْيَتِه، فإنْ غُبِّيَ عليكُمْ فأكْمِلُوا عِدَّةَ شعْبانَ ثلاثِينَ". (متفق عليه).

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واستن بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فيُشترط لوجوب صيام رمضان (ثبوت الشهر) أي دخول شهر رمضان، والذي يكون بأحد أمرين:

أولهما: رؤية هلال رمضان؛ لقوله تعالى: "فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ"، ولحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صُومُوا لِرُؤْيَتِه، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِه، فَإنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ". (متفق عليه).

وثانيهما: اكتمال شهر شعبان ثلاثين يومًا؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً، فَلا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ

فأكملوا العدةَ ثلاثين". (متفق عليه).

ويثبت الهلال بالرؤية وليس بحسابات الفلك، وذلك على الرغم من أن حسابات الفلك بلغت درجة عالية من الدقة، وهذا أمر مشاهد لا ينكره مُنصف، فيتم تحديد موعد ومكان كسوف الشمس على وجه الدقة قبل حدوثه بزمن كبير، ولذا يجتمع الناس في المساجد قبل حدوث الكسوف بزمن كبير، ثقةً منهم بهذه الحسابات، بل إن ظاهرة تعامد الشمس على ما يسمى بقدس الأقداس في معبد الكرنك، والتي تحدث في ٢١ ديسمبر من كل عام، تزامنًا مع الانقلاب الشتوي؛ حيث تمكن المصريون القدماء من جعل أشعة الشمس تتعامد على وجه معبودهم آمون في معبد الكرنك.

ويوجد بمصر أكثر من ٢٠ ظاهرة تعامد الشمس في معابد مختلفة في الأقصر وأسوان وغيرها، وهو ما يؤكد على مدى تقدم هذه العلوم في زمنهم.

ومن الأمور المتفق عليها أنه على الرغم من دقة حسابات الفلك فلا يثبت بها رؤية الهلال، فلو حالت السحب دون رؤية الهلال، وكانت الحسابات الفلكية تؤكد مولده، فالعمل يكون بحديث أبي هريرة، وبحديث عبد الله بن عمر السالفين؛ فيجب إكمال صوم شعبان ثلاثين يومًا.

ويدخل في الرؤية البصرية استخدام الأجهزة الحديثة التي تُعين على رؤية الهلال كالتلسكوب الفلكي (ويسمى المرْقب أو المرصد)؛ والذي يستخدم في المراصد المتخصصة، كمرصد حلوان وغيره.

دار الإفتاء هي الجهة المنوط بها شرعًا استطلاع هلال شهر رمضان:

في الزمن الحاضر يختص بإثبات الهلال دار الإفتاء، والتي يجب العمل برؤياها، فمتى أعلنت عن رؤية هلال رمضان وجب على الجميع الصوم من الغد، وإن أعلنت عن رؤية هلال شوال وجب الفطر على الجميع.

ونؤكد على أن دار الإفتاء هي الجهة المنوط بها شرعًا استطلاع هلال شهر رمضان، وقد عُهد إلى مفتي جمهورية مصر العربية الإعلان عن ثبوت رؤية أهلة الشهور العربية والتي منها شهر رمضان؛ حيث يستطلع الأهلة من خلال اللجان الشرعية المنتشرة في أنحاء الجمهورية، وهو مُفوض من قبل ولي الأمر بخصوص هذا الأمر، ومن ثم يجب الالتزام بما يُصدره من بيان ثبوت رؤية شهر رمضان من عدمه؛ وكذلك أهلة سائر الشهور العربية.

وعلى ذلك يثبت دخول شهر رمضان (وخروجه) بالإعلان الصادر عن دار الإفتاء، وبالإعلان عن ذلك بوسائل الإعلام الرسمية التي تخضع لإشراف الدولة كالمذياع والتلفاز.

فتوى ابن حجر الهيتمي بشأن إثبات القاضي الحنفي لرؤية الهلال:

سئل ابن حجر الهيتمي وهو شيخ مشائخ الشافعية في زمنه عن حكم إثبات القاضي الحنفي للهلال على نحو مخالف لما يعتقده الشافعية: فهل يلزمهم العمل بما أثبته القاضي الحنفي، ونورد السؤال بنصه لأهميته ونعرض لفتواه رحمه الله.

السؤال: "إذا عَمَّ هلالُ شَعْبان فأكمَلْنا العدَّة ثلاثينَ فجاءَ جماعةٌ منْ محلٍّ بعيدٍ مُخْتلفٌ مطلَعُهُ معَ مطلَعِ البلْدَة التي غُمَّ فيها هلالُ شعْبانَ وشهدُوا برُؤيَة الهلالِ ليْلَة الثلاثينَ فأثْبتَ حاكمٌ حنفيٌّ الهلالَ بشهادتهمْ فهلْ

يلزم الشافعيَّ بقضاء اليوم الذي أفطره على ظنٍّ منه أنه من شعبان اعتمادًا على أن الثبوت الواقع لدى الحاكم الحنفيّ رافع للخلاف ويفطر يوم ثلاثين رمضان لو لم ير الهلال ليلة الثلاثين لإكمال العدة بمقتضى الثبوت المذكور أو لا يلزم بقضاء اليوم المذكور؛ لأن العبرة في نحو ذلك بعقيدته واعتقاده أنه لا عبرة برؤية الهلال بمحل مختلف مطلعه مع مطلع البلد التي غم فيها الهلال فيجب عليه إمساك يوم ثلاثين رمضان لو لم ير الهلال ليلة الثلاثين وما الحكم فيما لو ثبت الهلال لدى حاكم يرى ثبوته بما لم يره الشافعيُّ من قبول عبيد وامرأة فهل يلزم الشافعيَّ العمل بما ثبت لديه، وإن كان خلاف عقيدته أو لا يلزمه؛ لأنه يعتقد خلافه؟ بيّنوا لنا ذلك بما فيه بسط أثابكم الله الجنة بمنه وكرمه...". اهـ.

(فأجاب ابن حجر الهيتمي عن السؤال السابق) بقوله: " حكم الحنفيّ في ذلك معتبر فيدار الأمر عليه ويجب على الناس العمل بقضيته كما دلّ على ذلك كلام أئمتنا في مواضع منها قول المجموع ومحل الخلاف في قبول شهادة الواحد ما لم يحكم بشهادته حاكم يراه وإلا وجب الصوم ولم ينقض الحكم إجماعًا اهـ فإيجاب الصوم هنا على العموم، وعدم نقض الحكم بالإجماع صريح في أن حكم الحنفيّ في صورة السؤال كذلك حتى يجب على الشافعية وغيرهم العمل بقضيته صومًا وفطرًا وقضاء....." (الفتاوى الفقهية الكبرى، لابن حجر الهيتمي كتاب الصوم، ج٢، ص٨).

إثبات المفتي لرؤية الهلال ملزمة لكل أهل مصر بالصوم:

من المقرر شرعًا أن الحاكم إذا أثبت رؤية الهلال وجب على كافة من في حكمه العمل به، والمقصود بالحاكم هاهنا القاضي، وهو الذي كان يُناط به إثبات الأهلة، ثم أُنيط هذا الأمر بدار الإفتاء ممثلة في المفتي بعد ذلك.

وهو ما يكون بيانه للأهلة ملزمًا رافعًا للخلاف بين الناس؛ لما تقرر شرعًا أنَّ: حكم الحاكم يرفع الخلاف. كما ذكر القرافي في الفروق حيث يقول: "... اعلم أن حكم الحاكم في مسائل الاجتهاد يرفع الخلاف ويرجع المخالف عن مذهبه لمذهب الحاكم، وتتغير فتياه بعد الحكم عما كانت عليه على القول الصحيح من مذاهب العلماء، فمن لا يرى وقف المشاع إذا حكم حاكم بصحة وقفه ثم رفعت الواقعة لمن كان يفتي ببطلانه نفذه وأمضاه ولا يحل له بعد ذلك أن يفتي ببطلانه، وكذلك إذا قال إن تزوجتك فأنت طالق فتزوجها وحكم حاكم بصحة هذا النكاح، فالذي كان يرى لزوم الطلاق له ينفذ هذا النكاح ولا يحل له بعد ذلك أن يفتي بالطلاق، هذا هو مذهب الجمهور وهو مذهب مالك....". (أنوار البروق في أنواء الفروق، للقرافي، الفرق السابع والسبعون بين قاعدة الخلاف يتقرر في مسائل الاجتهاد قبل حكم الحاكم، وبين قاعدة مسائل الاجتهاد يبطل الخلاف فيها ويتعين قول واحد بعد حكم الحاكم، ج٢، ص١٠٣).

موقف فضيلة المفتي في رؤية هلال شوال لعام ١٤٤٦هـ:

حيث كانت حسابات الفلك تؤكد أن يوم السبت ٢٩ رمضان ١٤٤٦هـ الموافق ٢٩ مارس ٢٠٢٥م هو المتمم لشهر رمضان، ومن ثم يكون عيد الفطر يوم الأحد الموافق ٣٠

مارس ٢٠٢٥م، وتهيَّأ الناس لذلك، لكن ما حدث عند رؤية هلال شوال لعام ١٤٤٦هـ أن تعذرت رؤية الهلال (نتيجة حدوث كسوف للشمس)، ولذا انتهت دار الإفتاء إلى وجوب إتمام شهر رمضان ثلاثين يومًا؛ لتعذر رؤية الهلال.

وهذا أمر محمود من فضيلة المفتي، ففي ذلك تطبيق عملي لحديث أبي هريرة، وحديث عبد الله بن عمر السالفين عن النبي صلى الله عليه وسلم واللذان يوجبان إكمال صوم شعبان ثلاثين يومًا عند تعذر رؤية الهلال.

كما أن فضيلة المفتي بصنيعه هذا يدحر الكثير من الشبهات التي تثار حول رؤية الأهلة، وأن مدار الأمر على الحسابات الفلكية؛ حيث أكد فضيلته بذلك على أن العبرة ليست بالحسابات الفلكية -رغم التأكيد على دقتها- وإنما العبرة بالرؤية البصرية كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد روى أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله البجلي، والنعمان بن بشير، والأشعث بن قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ" (مسند الإمام أحمد بن حنبل وسنن الترمذي وصححه الألباني). ولذا نتوجه لفضيلته بكامل الشكر والتقدير، سائلين المولى سبحانه أن يجازيه خير الجزاء.

موقف دولة رئيس مجلس الوزراء بشأن هلال شوال لعام ١٤٤٦هـ:

والشكر موصول لدولة رئيس مجلس الوزراء المصري، فحينما أصدر سيادته قرارًا بأن تكون الفترة من يوم السبت الموافق ٢٩ من شهر مارس عام ٢٠٢٥ ميلادية حتى يوم الثلاثاء الموافق ١ من شهر أبريل عام ٢٠٢٥ ميلادية إجازة رسمية مدفوعة الأجر للعاملين في الوزارات والمصالح الحكومية والهيئات العامة ووحدات الإدارة المحلية وشركات القطاع العام وشركات قطاع الأعمال العام، وذلك بمناسبة عيد الفطر المبارك، فقد نص سيادته في هذا القرار على أنه إذا أسفرت الرؤية الشرعية لهلال شهر شوال ١٤٤٦ هجرية عن أن يوم الاثنين الموافق ٣١ من مارس عام ٢٠٢٥ ميلادية هو أول أيام شهر شوال ١٤٤٦ هجرية فتمتد الإجازة حتي يوم الأربعاء الموافق ٢ من أبريل عام ٢٠٢٥، ليؤكد بدوره بذلك على أن العبرة هي بالرؤية الشرعية (البصرية) وليس بالحسابات الفلكية، فلسيادته كامل الشكر والتقدير، وخالص الدعوات بدوام التوفيق والسداد.

رؤية الهلال في بلد هل يلزم سائر البلدان بالصوم:

اختلفت مذاهب العلماء قديمًا فيما إذا رأى الهلال أهل بلد دون غيرهم: هل يلزم سائر البلدان بالصوم برؤيتهم؟ وقد اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: أنه إذا رأى الهلال أهل بلد لزم جميع البلاد الصوم دون اعتبار اختلاف المطالع؛ وهذا هو المعتمد عند الحنفية، ومذهب المالكية، وبعض الشافعية، والمشهور عند الحنابلة كما يذكر المرداوي في الإنصاف (ج٣، ص٢٧٣).

ولكن يرد على ذلك بأنه لا يُعلم أن المسلمين اتفقوا على هلال واحد في تاريخهم، ورغم أنهم كانوا يلتقون في موسم الحج بعد انصرام رمضان، ورغم ذلك لم ينقل في أي كتاب فقهي أن أهل بلد معين قضوا يومًا لرؤية الهلال في بلد آخر قبلهم!

القول الثاني: يقول إنه لكل بلد رؤيته الخاصة به، ولكن فرّق أصحاب هذا الرأي بين تقارب البلاد وتباعدها: فإن تقاربت البلاد وجب الصوم فحكمها واحد، وإن تباعدت فلا يجب الصوم لرؤية غيرهم ممن بعد عنهم، وهو مذهب الشافعية، وابن عبد البر من المالكية، ويقول ابن جزي في القوانين الفقهية عن ذلك: "... ولا يلزم في البلاد البعيدة جدًا كالأندلس والحجاز إجماعا...".

واختلفوا في بيان ضابط البعد: فمنهم من جعل الضابط هو اختلاف المطالع (مثل العراقيين، كما ذكر النووي في الروضة)، ومنهم من جعل الضابط مسافة القصر (مثل الرافعي والنووي)، ومنهم من قال باختلاف الأقاليم كابن عبد البر.

وحكاه الترمذي أن لكل بلد رؤيته الخاصة به عن أهل العلم ولم يحك سواه وهو يورد حديث كريب مع ابن عباس (والذي سنعرض له فيما يلي) فيقول: "... والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم: أن لكل أهل بلد رؤيتهم". (جامع الترمذي: أبواب الصوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء لكل أهل بلد رؤيتهم،ج٢، ص٧١، ح٦٩٣).

الراجح في مسألة رؤية الهلال في بلد آخر:

ما نرجحه في هذه المسألة -والله سبحانه وتعالى أعلم- أن أهل البلد يصومون لرؤية الهلال ببلدهم دون النظر إلى رؤيته في غير بلدهم. والدليل على ذلك: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن كريب أنَّ أُمَّ الفَضْل بنْتَ الحارثِ بَعَثَتْهُ (أي كُرَيْبَ بنَ أبي مُسلم إلى مُعاويَةَ بالشَام، قالَ: فَقَدمْتُ الشَامَ، فَقَضَيْتُ حاجَتَها، واسْتُهلَّ عَلَيَّ رَمَضانُ وَأنا بالشَام، فَرَأَيْتُ الهلالَ لَيْلَةَ الجُمُعَة، ثُمَّ قَدمْتُ المَدينَةَ في آخر الشَّهْر، فَسَألَني عبدُ الله بنُ عَبَاس رَضيَ اللهُ عنْهما، ثُمَّ ذَكَرَ الهلالَ، فَقالَ: مَتى رَأَيْتُمُ الهلالَ؟ فَقُلتُ: رَأَيْناهُ لَيْلَةَ الجُمُعَة، فَقالَ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ فَقُلتُ: نَعَمْ، وَرَآهُ النّاسُ، وَصامُوا وَصامَ مُعاويَةُ، فَقالَ: لَكنّا رَأَيْناهُ لَيْلَةَ السَّبْت، فلا نَزالُ نَصُومُ حتّى نُكْملَ ثَلاثينَ، أَوْ نَراهُ، فَقُلتُ: أَوَلا تَكْتَفي برُؤْيَة مُعاويَةَ وَصيامه؟ فَقالَ: لا، هَكَذا أَمَرَنا رَسولُ الله صلي الله عليه وسلم. صحيح مسلم (١٠٨٧).

وفي الواقع العملي فإن ثبوت هلال رمضان يكون بإعلان دار الإفتاء، فمتى أعلنت عن رؤية الهلال؛ وجب على جميع المسلمين بمصر الصوم، ولا يُعوَّل على الاختلاف الفقهي المذكور سلفًا، فالمُعوَّل عليه في عصرنا الحاضر هو بيان دار الإفتاء، وعلى كل مسلم أن يلزم جماعة المسلمين التي هو فيها وألا يشذ عنها، فمن شذ شذ في النار والعياذ بالله.

حكم الصوم والفطر لرؤية الهلال في المملكة العربية السعودية:

حيث قام البعض نتيجة رؤية هلال شوال في المملكة العربية السعودية قبل رؤية الهلال في بلدهم، بالفطر مع المملكة السعودية، ويؤخروا صلاة العيد لليوم التالي بالمخالفة للسنة ليصلوا مع قومهم. وهذه المسألة لم يطرحها أحد من أهل العلم قبل ذلك قط (أي الصوم لرؤية الهلال بالسعودية

دون سواها والفطر لرؤية الهلال بها)، وانما المسألة التي طرحها العلماء هي: إذا رُئي الهلال في بلد، فهل يلزم سائر البلاد الصوم؟، وهو الأمر الذي يسري في حق المملكة العربية السعودية وفي حق غيرها، فيلزمها هذا القول في أحواله المختلفة، فإن قلنا بلزوم الصوم كان على المملكة السعودية أن تصوم برؤية الهلال في أيّ بلد آخر، وإن قلنا بأن لكل بلد رؤيته، كان على أهل كل بلد أن يصوموا لرؤية الهلال في بلدهم، ومن ثم لا يجوز التخصيص برؤية الهلال في المملكة العربية السعودية دون غيرها من البلاد، ومن ثم فلا صحة لفعل هؤلاء. وهذا أمر لم يقل به أحد قط من أهل العلم، ولم يذهب إليه أحد قط، هذا مع ملاحظة أن فتوى هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية هي أن يصوم الناس وأن يفطروا لرؤية الهلال في بلدهم دون غيرها؛ حيث يأخذ مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بالرأي القائل بأن لكل أهل بلد رؤيتهم الخاصة بهم.

ورغم ذلك أحدث بعض الناس حدثًا لم يسبقوا إليه، وهو أنه إذا رأي الهلال في المملكة العربية السعودية قبل رؤية الهلال في بلدهم كانوا يصوموا لرؤية الهلال في السعودية، أما إن رؤي الهلال في أي بلد آخر، لم يصوموا مع صوم هذا البلد كائنا من كان.

مطالبة المعتمرين المصريين الذي أدركوا عيد الفطر بالمملكة السعودية بقضاء يوم:

حينما رؤي رؤية هلال شوال لعام ١٤٤٦هـ بالمملكة السعودية قبل مصر فكان العيد عندهم يوم الأحد، وتعذرت رؤية الهلال بمصر فكان عيد الفطر بها يوم الاثنين.

خرج علينا من يطالب المعتمرين الذين أدركوا العيد بالمملكة السعودية فأفطروا يوم الأحد أن يقضوا يومًا بعد عودتهم لأن أهل مصر صاموا ثلاثين يومًا، وهذا قول عجيب، لأن حكم الصائم يتبع البلد الذي هو فيه، وهذا المعتمر يلزم جماعة المسلمين بالبلد الذي هو فيه فإن رأوا هلال شوال أفطر بفطرهم، ولم يقض لأنه صام تسعًا وعشرين يومًا، ولو رجع إلى مصر قبل رؤية الهلال فحكمه حكم أهل مصر، فيتم صومه معهم، ولا يقضي يومًا إلا في حالة واحدة، وهي أن يدركه الهلال في البلد الذي هو فيه ولم يصم إلا ثمانية وعشرين يومًا فقط؛ فحينئذ يفطر مع البلد الذي هو فيه، ثم يقضي يومًا بعد ذلك لأن الشهر لا يقل عن تسع وعشرين يومًا كما في حديث أبي هريرة وحديث ابن عمر المشار إليهما آنفًا.

فعلى كل مسلم أن يلزم الجماعة التي فيها ولا يشذ عنهم، فلا يسوغ أبدًا أن يكون بجسده في مصر ووسط جموع أهلها ويفطر لرؤية الهلال في أي بلد آخر، وانما يتعين عليه أن يلزم جماعة المسلمين التي هو معها؛ فقد عصمها المولى سبحانه من الاجتماع على ضلالة.

أسأل الله أن يأخذ بنواصينا لما يرضيه عنا، وأن يأخذ بناصية ولاة أمورنا للبر والتقوى اللهم آمين.

باب السنة

من جوامع الدعاء في السُّنة النبوية

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن ابنِ عُمَرَ قال: قلما كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَقومُ مِنْ مَجْلسٍ حتَّى يَدْعُو بهؤُلاءِ الدعوات لأصحابه: "اللهُمَّ اقسِمْ لنا منْ خشيتكَ ما يَحُولُ بَيْنَنا وبَيْنَ مَعاصيكَ، ومنْ طاعَتكَ ما تُبلِّغُنَا بهِ جنَّتَكَ، ومنَ اليَقينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ علينا مُصيباتِ الدُّنيا، ومتِّعْنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقُوَّتِنا ما أحييْتَنا، واجعلْهُ الوارثَ منَّا، واجعلْ ثأرَنا على منْ ظلَمَنا، وانصُرْنا على منْ عادانا، ولا تجْعَلْ مُصيبتَنا في دِينِنا، ولا تجعَلِ الدُّنيا أكبرَ همِّنا ولا مَبلغَ علمِنا، ولا تُسلِّطْ علينا منْ لا يرحمُنا".

أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، وصححه الألباني.

ومثل هذا ذكر كفارة المجلس: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

يقال هذا الذكر في خمس مواطن:

الأولى: عقب مجلس ذكر:

عَنْ نَافِعِ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَ كَالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ، كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ.

أخرجه: النسائي في "الكبرى" (١٠٢٥٧)، وفي "عمل اليوم والليلة" (٤٢٤)، والطبراني في "الكبير" (١٥٨٦/١٣٨/١)، والحاكم (٧٢٠/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في "الصحيحة" (٨١).

الثانية: عقب مجلس لغو ولغط:

عن أبي هُرَيْرَةَ عَن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من جلَسَ في مَجْلِسٍ كَثُرَ فيه لَغَطُهُ فقال قبل

أنْ يقُومَ: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، لا إلهَ إلَّا أنت، أسْتَغْفِرُكَ ثُمَّ أتُوبُ إلَيْكَ؛ إلَّا غفرَ اللهُ له ما كان في مَجْلِسِه ذلكَ".

أخرجه: أحمد (٤٩٤/٢)، وأبو داود (٤٨٥٩)، والترمذي (٣٧٦٢)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٢٣٠، ١٠٢٥٧)، وفي "عمل اليوم والليلة" (٣٩٧، ٤٢٤)، والطبراني في "الدعاء" (١٩١٩)، والحاكم (٧٢٠/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وصححه الألباني في "الصحيحة" (٢٦٥١).

الثالثة: عقب الوضوء:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: "ومَن توضأ ثم قال سبحانكَ اللهمَّ وبحمدك، لا إلهَ إلا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ؛ كُتِبَ في رقٍّ ثم طُبِعَ بطابعٍ فلم يُكسَرْ إلى يوم القيامة.

أخرجه النسائي والحاكم، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصححه الألباني في "الصحيحة" (٢٦٥١).

الرابعة: عقب الصلاة:

عن عائشة أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا جلَسَ مَجْلِسًا أو صلى صلاةً تكلَّم بكلماتٍ فسألَتْهُ عائشةُ عن الكَلِماتِ فقال: إن تكلَّمَ بخيرٍ كان طابِعًا عليْهِنَّ إلى يَوْمِ القيامَةِ وإنْ تكلَّمَ بغيْرِ ذلك كان كفَّارةً له: سُبْحانَكَ اللهم وبِحَمْدِكَ، أسْتَغْفِرُكَ وأتوبُ إليْكَ. أخرجه: النسائي في سننه، وصححه الألباني في "الصحيحة" (٣١٦٤).

الخامسة: عقب تلاوة القرآن:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "مَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا قَطُّ، وَلا تَلا قُرْآنًا، وَلا صَلَّى إِلَّا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ، قالت: فقلت: يا رسول الله! أراك ما تجلس مجلسا ولا تتلو قرآنا ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات، قَالَ: نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْرًا خَتَمَ لَهُ طَابِعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ".

أخرجه: النسائي في الكبرى وصححه الألباني في "الصحيحة" (٤٩٥/٧).

معاني الكلمات:

قلَّما: تدل على القلة والندرة.

اللَّهم: يا الله.. ووضعت الميم في آخرها عوضًا عن حرف النداء.

اقسم: اجعل لنا قسمًا وحظًا ونصيبًا وارزقنا من فضلك وجودك.

خشيتك: الخشية: خوف مقترن بالتعظيم. وهي خوف العلماء.

تُهوِّن: أي تُسهِّل وتخفف.

الثأر: الطَّلَبُ بالدَّمِ، وقيل الدم نفسه

تُبلِّغنا: توصلنا.

ما يحول: ما يحجب ويمنع.

واجعله الوارث منا: كناية عن الاستمرارية إلى آخر العمر.

اليقين: هو استقرار العلم الذي لا يتقلب، ولا يحول، ولا يتغير، وهو أعلى درجات الإيمان، فهو إيمان لا شك فيه.

هذه الدعوة جامعةٌ لأبواب الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فقد جمعت مقاصد ومطالب جليلة فيما يحتاجه العبد في دينه ودنياه، ومعاده، لهذا كان عليه الصلاة والسلام نادرًا ما يقوم من مجلس إلا وقد رطب لسانه بهذه الكلمات، والدعوات الجميلة.

الشرح:

اللَّهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين

معاصيك:

اللهم اجعل لنا حظّاً ونصيباً من خوفك المقترن بتعظيمك وإجلالك؛ ما يكون حاجزاً لنا ومانعاً من الوقوع في المعاصي والذنوب والآثام، وهذا فيه دلالةٌ على أن خشية الله هي أعظم رادع وحاجز للإنسان عن الوقوع في الذنوب، ولهذا كان العلماء حقًّا هم أكثر خشية لله جل وعلا لمعرفتهم بالله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؛ فكلما ازدادت معرفة العبد بالله بما له من الأسماء الحسنى والصفات العُلا؛ امتلأ القلب خشية، وأحجمت الأعضاء، والجوارح، جميعها عن ارتكاب المعاصي.

ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك:

واقسم لي وارزقني من طاعتك ما يكون سبباً لنيل رضاك، وبلوغ جنتك.

ومن اليقين:

أي: اقسم لنا من اليقين الذي هو أعلى الإيمان، وأكمله: قال عبد الله بن مسعود: اليقين: هو الإيمان كله، فهو إيمان لا شك فيه، ولا تردد، فالغائب عنده كالمشاهد.

قال سفيان الثوري: "لو أن اليقين وقع في القلب، لطار اشتياقاً إلى الجنة وهروباً من النار"، فنسألك من اليقين ما يكون سبباً لتهوين المصائب والنوازل التي تحل علينا، واليقين كلما قوي في الإنسان كان ذلك فيه أدعى إلى الصبر على البلاء؛ لعلم الموقن أن كل ما أصابه إنما هو من عند الله الحكيم العليم، فيرضى ويُسلِّم ويكون برداً وسلاماً على قلبه.

فمن حقّق اليقين، وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلّق بالمخلوقين رجاءً وخوفاً، ومنعه ذلك منْ طلب الدُّنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك، كان زاهداً في الدُّنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، وإنْ لم يكن له شيء من الدُّنيا، قال عمّار: كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً.

وكان عطاء الخراساني: "لا يقومُ من مجلسه حتى يقولَ: اللهمَّ هب لنا يقيناً منك حتى تُهوِّن علينا مصائبَ الدُّنيا، وحتى نعلمَ أنَّه لا يُصيبنا إلا ما كتبتَ علينا، ولا يُصيبنا منْ هذا الرِّزقِ إلاَّ ما قسمتَ لنا".

ما تهون به علينا مصائب الدنيا:

فالعبدُ المؤمن الموقن إذا أُصيبَ بمصيبةٍ في دُنياه منْ ذهابِ مالٍ، أو ولدٍ، أو غير ذلك، كان أرغبَ في ثواب ذلك ممَّا ذهبَ منه منَ الدُّنيا أنْ يبقى له، وهذا مما يهون الله به هول المصيبة؛ قال شريح القاضي: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفّقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني. وهذا بلا شك ينشأ منْ كمالِ اليقين.

فمن وُفّق عند المصيبة لتحقيق هذه المعاني وحمد الله عليها كانت مصيبته خيرًا وبركة عليه، والمؤمن أمره كله خير له؛ إن أصابه سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له.

ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا:

أي: أدم عليَّ السمع والبصر وسائر قواي أتمتع بها في مدة حياتي؛ لأنها الدلائل الموصلة إلى معرفتك وتوحيدك، من البراهين المأخوذة: إما من الآيات المنزلة وطريق ذلك السمع، أو من الآيات في الآفاق والأنفس، وطريق ذلك البصر.

اجعل تمتعنا بالحواس والقوى صحيحة وسليمة إلى أن نموت.

وقواتنا ما أحييتنا:

أي متعنا بسائر قوانا من الحواس الظاهرة والباطنة، وكل أعضائنا البدنية.

وسأل التمتع بكامل قواه طول حياته إلى موته؛ لأن الضعف وسقوط القوة في الكبر يضرُّ الدين والدنيا مما لا يخفى.

واجعله الوارث منا:

يحتمل معنيين:

الأول: الباقي بعدنا؛ لأن وارث المرء يبقى بعده، ومعنى بقائه دوامه إلى يوم الحاجة إليه.

والثاني: الذي يرث ذكرنا فنذكر به بعد انقضاء الآجال وانقطاع الأعمال، وهذا كسؤال خليل الرحمن: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

واجعل ثأرنا على من ظلمنا:

أي: وفقنا للأخذ بثأرنا ممن ظلمنا، دون أن نتعدّى فنأخذ بالثأر من غير الظالم.

وهذا قريب من دعاء الخروج من البيت: "اللهم إني أعوذ بك من أن أَظلم أو أُظلم أو أبغي أو يُبغى عليَّ".

وانصرنا على من عادانا:

تعميم بعد تخصيص: أي اكتب لنا الظفر والفوز على من تعدّى علينا بغير حق.

ولا تجعل مصيبتنا في ديننا:

أي لا تُصيبنا بما ينقص ديننا ويُذهبه من اعتقاد سيئ، أو تقصير في الطاعات، أو فعل المحرمات، أو كتسليط الكفار، والمنافقين، والظلمة على أهل الدين والإيمان؛ لأن مصيبة الدين هي أعظم المصائب، التي لا تنجبر ولا يُعوّض عنها، خلاف مصائب الدنيا.

ولا تجعل الدنيا أكبر همنا:

أي لا تجعل أكبر قصدنا وتعلقنا، وحزننا لأجل الدنيا؛ فإن من كان أكبر همه الدنيا كان في معزل عن الآخرة، بل اجعله مصروفًا في عمل الآخرة، وفي هذا دليل على أن القليل من الهمّ لا بُدَّ منه في الدنيا ويُرخص فيه.

ومبلغ علمنا:

أي: لا تجعل أكثر علمنا وتفكيرنا في أحوال الدنيا كالكافرين؛ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

ولا تسلط علينا من لا يرحمنا:

أي لا تجعلنا مغلوبين من الكفار، والظلمة، والفجرة، بتوليتهم علينا، فيكونوا سببًا لتعذيبنا في ديننا ودنيانا، ويجوز حمله على ملائكة العذاب في القبر، وفي النار، ولا مانع من إرادة الجميع.

ويَحْسُن بالداعي أن يستحضر كل هذه المعاني حال دعائه. ولقد بيّن الله تعالى في عدة آيات سؤال الأنبياء والمؤمنين السلامة من الظالمين والكافرين؛ كما ذكر الله عن موسى عليه السلام ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وإبراهيم والذين معه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ومحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

لماذا خصّ السمع والبصر بالتمتيع من الحواس؟

قال المباركفوري: "لأن الدلائل الموصلة إلى معرفة الله وتوحيده إنما تحصل من طريقهما؛ ولأن البراهين إنما تكون مأخوذة من الآيات، وذلك بطريق السمع، أو من الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس، فذلك بطريق البصر، فسأل التمتيع بهما حذرًا من الانخراط في سلك الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة".

ولما حصلت المعرفة بالسمع والبصر، وترتب على هذه المعرفة العبادة لله؛ سأل القوة ليتمكن بها من عبادة ربه؛ قاله الطيبي:"والمراد بالقوة: قوة سائر الأعضاء والحواس أو جميعها؛ فيكون تعميماً بعد تخصيص".

والحمد لله رب العالمين.

صُور الوحي في الآيات والأحاديث

إعداد الشيخ/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

هناك صُور للوحي حددتها الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة نورد بعضها فيما يأتي:

قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ» (الشورى: ٥١).

وقال تعالى: «كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ» (البقرة: ٢١٣).

وقال تعالى: «أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟» (يونس: ٢).

وقال تعالى: «وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ» (الأنعام: ٩١).

ومن الأحاديث ما جاء في الصحيحين عن أول بدء الوحي عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أوّل ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرُّؤيا الصالحةُ في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصُّبح، ثمّ حُبّب إليه الخلاءُ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنّثُ فيه- وهو التعبُّد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّدُ لذلك، ثم يرجعُ إلى خديجة فيتزوّدُ لمثلها، حتى جاءه الحقّ وهو في غار حراء، فجاءه الملكُ فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ منّي الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ منّي الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة ثم أرسلني، فقال: «ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ» (العلق: ١- ٣) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجُفُ فؤادُه، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زمّلوني زمّلوني فزمّلوه حتى ذهب عنه الرّوعُ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيتُ على نفسي فقالت خديجة: كلا والله

ما يُخزيكَ اللهُ أبدًا، إنَّكَ لتَصلُ الرَّحِمَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتَكسِبُ المَعْدومَ، وتَقري الضَّيْفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ. فانْطلَقَتْ به خَديجةُ حتَّى أتَتْ به ورقَةَ بنَ نَوْفلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ابْنَ عمِّ خَديجةَ وكانَ امْرأً تَنصَّرَ في الجاهليَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العِبْرانيَّ، فيَكْتُبُ مِنَ الإنْجيلِ بالعِبْرانيَّةِ ما شاءَ اللهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كبيرًا قدْ عَمِيَ، فقالَتْ له خَديجةُ: يا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخيكَ، فقالَ له ورَقَةُ: يا ابْنَ أخي ماذا تَرى؟ فأخْبَرَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خبرَ ما رأى، فقالَ له ورَقَةُ: هذا النّامُوسُ الذي نَزَّلَ اللهُ على مُوسى، يا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ. أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

وفي رواية «وفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حتَّى حَزِنَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم-فيما بلَغَنا- حُزْنًا غَدا منه مِرارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِن رُؤُوسِ شَواهِقِ الجِبالِ، فَكُلَّما أوْفَى بذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ منه نَفْسَهُ، تَبَدَّى له جِبْرِيلُ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّكَ رَسولُ اللهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لذلكَ جَأْشُهُ، وتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فإذا طالَتْ عليه فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدا لِمِثْلِ ذلكَ، فإذا أوْفَى بذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى له جِبْرِيلُ فقالَ له مِثْلَ ذلكَ». صحيح البخاري (٦٩٨٢).

تفسير مفردات الحديث:

الرؤيا الصالحة: أي الصادقة.

فلق الصبح: ضياؤه.

الخلاء: الخلوة.

ذوات العدد: هو بالنسبة إلى المدد التي كان يتخللها مجيئه إلى أهله.

ويتزود لذلك: والتزود استصحاب الزاد.

فيتزود لمثلها: أي الليالي.

حتى جاءه الحق: الأمر الحق.

ما أنا بقارئ: أي ما أحسن القراءة.

فغطني: أي ضمني.

حتى بلغ مني الجهد: أي بلغ مني غاية وسعي.

ثم أرسلني: أي أطلقني.

زملوني: لفوني.

الروع: الفزع.

تحمل الكل: مَن لا يستقل بأمره.

المعدوم: الفقير والكسب هو الاستفادة.

تقري الضيف: أي تعطيه القراء، وهي ما يُقدم للضيف من الكرامة، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحي إليه مضيافًا، يقري الضيوف.

وتعين على نوائب الحق: النوائب: هي ما ينوب الإنسان، أو ينوب الناس من الحاجات يعني ما يحصل من أزمات تحتاج إلى إسعاف ومساعدة بالمال أو بالجاه أو بالبدن.

الناموس: هو جبريل عليه السلام.

جذعًا: والجذع بفتح الجيم والذال هو الصغير من البهائم، والمقصود أن يكون شابًا فتيًا، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعوة إلى الإسلام شابًا ليكون أمكن لنصره.

إلا عودي: أوذي.

مؤزرًا: أي قويًا.

ينشب: يلبث.

ما يحدث للنبي صلى الله عليه وسلم عند الوحي:

روى البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنَّ الحارثَ بنَ هشامٍ رَضِيَ اللهُ عنه سألَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقالَ: يا رسولَ اللهِ، كيفَ يأتيكَ الوحيُ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أحيانًا يأتيني مثلَ صَلْصلةِ الجرَسِ، وهو أشدُّهُ عليَّ، فيُفصَمُ عنِّي وقدْ وعَيْتُ عنه ما قالَ، وأحيانًا يتمثَّلُ لي الملَكُ رَجُلًا فيُكلِّمُني فأعِي ما يقولُ. قالَتْ عائشةُ رضي الله عنها: ولقدْ رأيْتُهُ ينزِلُ عليه الوحيُ في اليومِ الشَّديدِ البَرْدِ، فيُفصَمُ عنه وإنَّ جبينَهُ ليتفصَّدُ عرَقًا». أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

شرح مفردات الحديث:

صلصلة: في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أُطلق على كل صوت له طنين.

والجرس: الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب واشتقاقه من الجرس بإسكان الراء هو الحس.

قال الخطابي: يريد أنه صوت متدارك يسمعه.

وهو أشده عليّ: يفهم منه أن الوحي كله شديد ولكن هذه الصفة أشدها، وهو واضح.

فيفصم: أصل الفصم القطع؛ أي: يقلع ويتجلى ما يغشاني.

وقد وعيت: أي القول الذي جاء به.

(يتمثل لي الملك رجلًا): التمثل مشتق من المثل، أي يتصور.

فأعي ما يقول: يفهم ما يقول.

ليتفصد: بالفاء وتشديد المهملة، مأخوذ من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم، شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق.

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وهو يحدث عن فترة الوحي- فقال- قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بيْنا أنا أمْشي سَمعْتُ صوْتًا من السَّماء، فرفعْتُ بصري، فإذا الملَكُ الذي جاءني بحراء جالسٌ على كُرسيٍّ بيْنَ السَّماء والأرْض، ففرقْتُ منه، فرجعْتُ، فقلْتُ: زمِّلوني زمِّلوني، فدثَّروهُ، فأنْزل الله تعالى: (يا أيُّها المدَّثّرُ قمْ فأنْذرْ وربَّك فكبِّرْ وثيابك فطهّرْ والرُّجْز فاهْجُرْ)- قال أبو سلمة: وهي الأوْثانُ الَّتي كان أهْلُ الجاهليَّة يعْبُدون- قال: ثمَّ تتابع الوحْيُ». صحيح البخاري (٤٩٥٤).

شرح مفردات الحديث:

فرعبت منه: أي فزعت.

فقلت زملوني زملوني: أي لفوني.

«يا أيُّها المدَّثّرُ × قمْ فأنذرْ»: أي حذر من العذاب من لم يؤمن بك.

«وربَّك فكبِّرْ»: أي عظم.

«وثيابك فطهِّرْ»: أي من النجاسة.

فحمي الوحي: أي جاء كثيرًا.

وتتابع: تكاثر.

وروى البخاري عن ابْن عبَّاس في قوْله تعالى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» (القيامة: ١٦) قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعالجُ من التَّنْزيل شدَّةً، وكان ممَّا يُحرِّكُ شفتيْه- فقال ابنُ عبَّاس: فأنا أُحرِّكُهما لكُمْ كما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحرِّكُهما، وقال سعيدٌ: أنا أُحرِّكُهما كما رأيْتُ ابْن عبَّاس يُحرِّكُهما، فحرَّك شفتيْه- فأنْزل الله تعالى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ» (القيامة: ١٧) قال: جمْعُهُ لك في صدْرك وتقْرأهُ: «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» (القيامة: ١٨) قال: فاسْتمعْ له وأنْصتْ: «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» (القيامة: ١٩) ثُمَّ إنَّ عليْنا أنْ تقْرأهُ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعْد ذلك إذا أتاهُ جبْريلُ اسْتمع فإذا انْطلق جبْريلُ قرأهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم كما قرأهُ. صحيح البخاري (٥).

شرح مفردات الحديث:

(كان يعالج من التنزيل شدة): محاولة الشيء بمشقة أي كان العلاج ناشئًا من تحريك الشفتين، أي مبدأ العلاج منه.

(فقال ابن عباس فأنا أحرّكهما): جملة معترضة بالفاء وفائدة هذا زيادة البيان في الوصف على القول.

(فحرك شفتيه): أي ابن عباس.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء الأمر إذا لقن القرآن نازع جبريل القراءة ولم يصبر حتى يتمها مسارعة إلى الحفظ لئلا ينفلت منه شيء.

ووقع في رواية الترمذي: (يُحرّك به لسانه يريد أن يحفظه).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

كيف نستعد لرحلة الحج؟

إعداد/ الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الحمد لله الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فالحج فريضة مرة واحدة في العمر على كل مسلم، بالغ، عاقل، حر، قادر على الذهاب لأداء مناسك الحج، بدليل القرآن والسنة وإجماع علماء المسلمين.

أولاً: القرآن: قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: ٩٧).

ثانياً: السنة: عن ابن عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ. (البخاري: ٨، ومسلم: ١٦).

ثالثاً: الإجماع: أجمعَ عُلماءُ المسلمين على وجوب الحج في العُمر مَرَّةً واحِدَةً. (المغني، لابن قدامة جـ٥ صـ٦).

يستطيع المسلم الاستعداد لرحلة الحج المباركة بالأمور التالية:

(١) إخلاص العمل لله تعالى

يجب على المسلم أن يعلم أن إخلاص العمل لله ومتابعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هما أساس قبول أيِّ عمل، ولذا يجب عليه أن يجعل رحلة الحج أو العمرة خالصة لوجه الله سبحانه، لا يريد بذلك رياء ولا لقباً بين الناس؛ لأن ذلك محبط للأعمال الصالحة. يقول الله سبحانه وتعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة: ٥).

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

سمعتُ رسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم يقولُ: إنَّما الأعمالُ بالنيَّات وإنَّما لكُل امرئ ما نوى. (البخاري: ١، ومسلم: ١٩٠٧).

معنى الرياء

معنى الرياء: الرياء مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوا صاحبها.

التحذير من الرياء وصية ربانية

حذرنا الله تعالى من الرياء في الأقوال والأفعال وذلك في كثير من آيات القرآن الكريم، وبين لنا سبحانه أن الرياء يحبط الأعمال الصالحة قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ) (البقرة: ٢٦٤).

وعنْ أبي هُريْرة قال: قال رسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم قال اللَّهُ تبارك وتعالى: أنا أغْنى الشُّركاء عن الشِّرْك منْ عمل عملًا أشرك فيه معي غيْري تركْتُه وشرْكه. (مسلم: ٢٩٨٥).

وعنْ ابْن عبَّاس قال: قال رسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم: منْ سمَّع، سمَّع اللَّهُ به، ومنْ راءى راءى اللَّهُ به. (مسلم: ٢٩٨٦).

قال الخطابي في معنى هذا الحديث: من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جُوزي على ذلك بأن يشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك. (الكبائر للذهبي صـ ١٥٧).

الرياء يكون في الفعل؛ والسمعة تكون في القول. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ١١ صـ٣٤٤).

(٢) معرفة فضل الحج والعمرة

عنْ أبي هُريْرة رضي اللَّهُ عنْهُ قال: قال النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم: منْ حجَّ هذا البيْت فلمْ يرْفُثْ ولمْ يفْسُقْ رجع كيوْم ولدتْهُ أُمُّهُ. (البخاري: ١٥٢١، ومسلم: ١٣٥٠).

عنْ أبي هُريْرة رضي اللَّهُ عنْهُ قال سُئل النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم أيُّ الأعْمال أفْضلُ؟ قال: إيمانٌ باللَّه ورسُوله، قيل: ثُمَّ ماذا؟ قال: جهادٌ في سبيل اللَّه. قيل: ثُمَّ ماذا؟ قال: حجٌّ مبْرُورٌ. (البخاري: ١٥١٩، ومسلم: ٨٣).

وعنْ أبي هُريْرة رضي اللَّهُ عنْهُ أنَّ رسُول اللَّه صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم قال العُمْرةُ إلى العُمْرة كفَّارةٌ لما بيْنهُما والحجُّ المبْرُورُ ليْس لهُ جزاءٌ إلَّا الجنَّةُ. (البخاري: ١٧٧٣، ومسلم: ١٣٤٩).

وعنْ عبْد اللَّه بْن مسْعُود قال: قال رسُولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم: "تابعُوا بيْن الحجِّ والعُمْرة؛ فإنَّهُما ينْفيان الفقْر والذُّنُوب كما ينْفي الكيرُ خبث الحديد والذَّهب والفضَّة، وليْس للحجَّة المبْرُورة ثوابٌ إلَّا الجنَّةُ. (صحيح الترمذي للألباني: ٦٥٠).

(٣) المبادرة إلى التوبة الصادقة:

يجب على المسلم أن يبادر بالتوبة في كل وقت وخاصة عند أداء الحج أو العمرة لأنه لا يدري هل يمد الله تعالى له في عمره بعد هذه الرحلة الربانية أم ينتهي أجله وهو يؤدي المناسك، وهذه التوبة تكون من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها؛ لقوله تعالى: (وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) (النور: ٣١).

شروط التوبة

قال الإمامُ النووي (رحمهُ اللَّه): قال العُلماءُ: التَّوْبةُ واجبةٌ منْ كُلِّ ذنْب، فإنْ كانت المعْصيةُ بيْن العبْد وبيْن اللَّه تعالى لا تتعلَّقُ بحقِّ آدميٍّ، فلها ثلاثةُ شُرُوط:

أحدُها: أنْ يُقلع عن المعصية.

والثَّاني: أنْ يندم على فعْلها.

والثَّالث: أنْ يعْزم أنْ لا يعُود إليْها أبداً.

فإنْ فقد أحدُ الثَّلاثة لمْ تصحَّ توْبتُهُ. وإنْ كانت المعْصيةُ تتعلَّقُ بآدميٍّ فشُرُوطُها أرْبعةٌ:

هذه الثلاثة، وأنْ يبرأ منْ حق صاحبها، فإنْ كانت مالاً أوْ نحوهُ ردّهُ إليه، وإنْ كانت حدّ قذفٍ ونحْوهُ مكّنهُ منْهُ أوْ طلب عفْوهُ، وإنْ كانت غيبة استحلّهُ منْها. ويجبُ أنْ يتوب منْ جميع الذّنوب، فإنْ تاب منْ بعْضها صحّتْ توْبتُهُ عنْد أهْل الحقّ منْ ذلك الذّنب، وبقي عليْه الباقي. (رياض الصالحين للنووي: ص٢٤: ٢٥).

وعنْ أبي هُريْرة أنّ رسُول الله صلّى الله عليْه وسلّم قال: منْ كانتْ عنْدهُ مظْلمةٌ لأخيه فليتحلّلْهُ منْها، فإنّهُ ليْس ثمّ دينارٌ ولا درْهمٌ منْ قبْل أنْ يُؤْخذ لأخيه منْ حسناته، فإنْ لمْ يكُنْ لهُ حسناتٌ أُخذ منْ سيّئات أخيه فطُرحتْ عليْه. (البخاري: ٦٥٣٤).

(٤) اختيار المال الحلال:

إن أفضل ما يُنفق فيه المسلم الأموال هو إنفاقها فيما يرضى الله تعالى الذي وعدنا بإخلاف النفقة والبركة في الرزق، ويقول الله تعالى: (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ) (سبأ: ٣٩).

ولذا يجب على المسلم أن يختار لحجه وعمرته المال الحلال، البعيد عن الشبهات؛ وذلك لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا. والله تعالى لا يقبل من الصدقات إلا ما كان من مال طيب حلال ولا يقبل من الأقوال إلا ما كان طيباً.

يقول الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (البقرة: ١٧٢).

(٥) الإكثار من الدعاء بالتوفيق لأداء مناسك الحج:

الدعاء له منزلة كبيرة عند الله تعالى؛ فيجب على المسلم الذي يذهب للحج أن يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء لكي يُوفقه في أداء المناسك على الوجه الصحيح. قال جلّ شأنهُ: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠).

قال الإمامُ ابنُ كثير (رحمهُ الله): هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه أنّهُ ندب عبادهُ إلى دُعائه، وتكفّل لهُمْ بالإجابة. (تفسير ابن كثير جـ٧ص١٥٣).

وعنْ سلْمان الفارسي، رضي الله عنْهُ، قال: قال رسُولُ الله صلّى الله عليْه وسلّم: إنّ ربّكُمْ تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ يسْتحْيي منْ عبْده إذا رفع يديْه إليْه أنْ يردّهُما صفْرًا. (حديث صحيح) (صحيح أبي داود، للألباني: ١٣٢٠).

قوْلُهُ: (حييٌّ)؛ أيْ: مُبالغٌ في الحياء الذي يليقُ به سُبْحانهُ بغيْر تشْبيه ولا تمْثيل ولا تحْريف ولا تعْطيل. وقوْلُهُ: (كريمٌ): الكريمُ: هُو الّذي يُعْطي المحتاجين منْ غيْر سُؤال. وقوْلُهُ: (صفْرًا) أيْ: فارغتيْن خاليتيْن من الرّحْمة. (مرقاة المفاتيح، لعلي الهروي جـ٤ ص١٥٣٣).

(٦) الوصية بتقوى الله في السر والعلانية:

تقوى الله: تعني الخوف من الله سُبحانهُ وتعالى في السر والعلانية، والخوف من عذابه، وذلك بفعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

يجب على المسلم أن يوصي نفسه وأهله دائماً بتقوى الله تعالى واجتناب معاصيه وخاصة عند السفر لأداء مناسك الحج والعمرة فإنه لا يدري هل يعود إليهم مرة أخرى أم لا؟ وتقوى الله تعالى هي وصية الله سبحانه للأولين والآخرين من بني آدم. قال الله سبحانه وتعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران:١٠٢)، وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) (النساء:١٣١)، وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر:١٨).

وتقوى الله تعالى هي السبيل إلى جنة عرضها السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(٧) اختيار الرفقة الصالحة:

يجب على المسلم أن يحسن اختيار الرفقة الصالحة من أهل العلم لكي يستفيد من نصائحهم في أداء مناسك الحج والعمرة. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ. (مسند أحمد جـ١٤ صـ١٤٢: ٨٤١٧).

قوله: (فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) معناه: فلينظر أحدكم بعين بصيرته إلى أمور من يريد صداقته وأحواله، فمن رآه ورضي دينه صادقه، ومن سخط دينه فليتنبه. (دليل الفالحين، لمحمد بن علان جـ٣ ص٢٣٠)

وعن أبي سعيد الخدري أن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: لا تُصَاحِبْ إلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ. (صحيح الترمذي للألباني حديث١٩٥٢).

قَالَ الإمامُ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله: حَذَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ صُحْبَةِ مَنْ لَيْسَ بِتَقِيٍّ وَزَجَرَ عَنْ مُخَالَطَتِهِ وَمُؤَاكَلَتِهِ لأَنَّ الْمُطَاعَمَةَ تُوقِعُ الأُلْفَةَ وَالْمَوَدَّةَ فِي الْقُلُوبِ. (تحفة الأحوذي للمباركفوري ج٧ ص٦٤).

(٨) حسن معاملة الناس خلال رحلة الحج:

يجب على المسلم أن يتحلى بالأخلاق المباركة ويكون عوناً على الخير لغيره من الحجاج، سواء كان يعرفهم أم لا، ويتجاوز عن زلاتهم ويعفو عنهم؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى. ويجب على المسلم أيضاً أن يتجنب الجدال الذي لا فائدة منه؛ قال الله تعالى: (ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ) (البقرة ١٩٧).

وعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ» إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ. (مسلم حديث: ٢٥٩٣).

وعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (مسلم حديث: ٢٥٩٤).

(٩) كتابة الوصية الشرعية:

يجب على المسلم أن يكتب وصيته قبل الذهاب لأداء مناسك الحج والعمرة، فلعله لا يرجع من سفره. وذلك بأن يكتب فيها حقوق الناس المالية وغيرها ويوصي ورثته بأدائها. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ. (البخاري: ٢٧٣٨، ومسلم: ١٦٢٧)

(١٠) معرفة مناسك الحج والعمرة:

إن معرفة مناسك الحج والعمرة فرض على كل مسلم يذهب لأداء هذه المناسك؛ لأن الله تعالى لا يُعبد إلا بما شرع، وعلى المسلم دائماً أن يحرص على سؤال أهل العلم فيما خفي عليه من المناسك حتى لا يقع فيما يبطل حجه أو عمرته.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

من نور كتاب الله

ذكر الله ينشرح به الصدر

قال الله تعالى: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ» (سورة الحجر: ٩٧ - ٩٩).

أحاديث مشهورة لا تصح

"ما زال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقنتُ في صلاة الصبح حتى فارقَ الدنيا" منكر جدًا: أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة.

(النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة، للحويني)

الاستغاثة المشروعة وغير المشروعة

الاستغاثة المشروعة تكون بالله -عز وجل- أو بالأنبياء في حياتهم أو بالصالحين من عباد الله حال حياتهم لا بعد موتهم؛ فيما يقدرون عليه. أما التوسل بالرسول استغاثةً به، فهذا لا يجوز إلا في حياته وحضوره لا في موته ومغيبه.

(مجموع الفتاوى بتصرف).

من دعاء الرسول ﷺ

كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو: «ربِّ أعني ولا تُعن عليَّ، وانصُرني ولا تنصُرْ عليَّ، وامكُر لي ولا تمكُر عليَّ، واهدني ويسِّر هداي إليّ، وانصُرني على من بغى عليَّ، اللهمَّ اجعلني لكَ شاكرًا لكَ ذاكرًا لكَ راهبًا لكَ مطواعًا إليكَ مُخبتًا أو مُنيبًا ربِّ تقبَّل توبتي واغسل حَوبتي، وأجب دعوتي وثبِّت حجَّتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي»

(صحيح أبي داود ١٥١٠).

واحة التوحيد

من أقوال السلف

قال الفضيل بن عياض: "ليس الإيمان بالتَّحلي ولا بالتَّمني، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقته الأعمال".

(اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي).

من دلائل النبوة

صفة الرسول في التوراة

قال عبد الله بن عمرو: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق.

(صحيح البخاري).

من هدي رسول الله ﷺ
جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله لا يظْلمُ مؤمنًا حسنةً، يُعطى بها في الدُّنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأمّا الكافرُ فيُطْعَمُ بحسنات ما عمل بها لله في الدُّنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكنْ له حسنةٌ يُجزى بها».

(صحيح مسلم: ٢٨٠٨).

اعداد/د. علاء خضر

من تفسير السلف

قال ابن عبّاس-رضي الله عنهما- في قوله تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ»: فأمّا الذين ابيضت وجوههم فأهل السنّة والجماعة وأولو العلم. وأمّا الذين اسودّت وجوههم فأهل البدع والضّلالة.

(أصول الاعتقاد للالكائي).

حكم ومواعظ

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «مثل المؤمن مثل النحلة، تأكل طيّبًا وتضع طيّبًا».

(الايمان لابن أبي الدنيا).

من معاني الأحاديث

بطأ: «مَن بطأ به عمله لم ينفعه نسبه»: أي: من أخّره عمله السيئ وتفريطه في العمل الصالح؛ لم ينفعه في الآخرة شرف النّسب.

(النهاية لابن الأثير).

من حكمة الشعر

قيل في التحذير من المعاصي:

إذا كنت في نعمة فارعها
فإنّ الذنوب تزيل النّعم
وحُطها بطاعة ربّ العباد
فربّ العباد سريع النّقم

(الجواب الكافي لابن القيم)

من فضائل الصحابة
فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أمنَ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الاسلام ومودته»

(صحيح البخاري).

المسجد بيت كل تقيٍّ فكُن من أهله لا من ضيوفه

أ. د محمد حامد الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ المساجد في الإسلام شأنها عظيم، وأثرها كبير؛ إنها بيوت الأتقياء، وخير بقاع الأرض وأحبُّها إلى الله عز وجلّ يأوي إليها المسلمون خمس مرات كل يوم وليلة، وقد يزيد، يجدون فيها أُنسهم بما يسمعون من القرآن، وذِكْر الرحمن، ويتعلمون فيها أمور الدين، ويُصلُّون فيها لله ربِّ العالمين. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «أحبُّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها» (صحيح مسلم: ٦٧١).

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "المسجد بيت كل تقي" (أخرجه البزار في مسنده (٢٥٤٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٢/٢٢): "وحسَّن إسناده البزار، ورجال البزار كلهم رجال الصحيح"، وحسَّنه الألباني بشواهده في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٧١٦).

وقد وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن يغدو إلى المساجد أو يروح بالأجر الكريم، والثواب العظيم؛ فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من غدا إلى المسجد، أو راح، أعد الله له في الجنة نُزُلَا، كلما غدا، أو راح» (أخرجه البخاري: ٦٦٢، ومسلم: ٦٦٩).

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: "ورجلٌ قلبه معلق في المساجد" (صحيح البخاري حديث٦٦٠، وصحيح مسلم: ١٠٣١)، وفي رواية: "ورجل قلبه معلق بالمساجد من حبه إياها"(جامع معمر بن راشد: ٢٠٣٢٢)، وفي رواية مالك في الموطأ (٣٥٠٥): (وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ، إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٤٥/٢):
"وظاهره أنه من التعليق كأنه شبّهه بالشيء المعلق في المسجد كالقنديل مثلاً؛ إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجًا عنه، ويدل عليه رواية: "كأنما قلبه معلق في المسجد"، ويحتمل أن يكون من العلاقة وهي شدة الحب".

وقال ابن رجب في فتح الباري (٤٧/٦): "فهو يحب المسجد ويألفه لعبادة الله فيه، فإذا خرج منه تعلق قلبه به حتّى يرجع إليه، وهذا إنما يحصل لمن ملك نفسه وقادها إلى طاعة الله فانقادت له؛ فإن الهوى إنما يدعو إلى محبة مواضع الهوى واللعب، إما المباح أو المحظور، ومواضع التجارة واكتساب الأموال، فلا يقصر نفسه على محبة بقاع العبادة إلا من خالف هواه، وقدم عليه محبة مولاه".

إن المسجد -أيها الموفق- مكان شريف تتحصل فيه على الخير والحق والنور فتخرج منه محملا بتلك العطاءات التي تنير لك طريقك، ويستقيم بها أمرك دون أن تخدع بمغريات الشهوات، ومزالق الشبهات.

ألا ترى أنّ ربَّ العزة سبحانه في سورة النور بعد ضرب المثل للنور الذي يمن به على قلب المؤمن ذكر لنا أين نجد هذا النور ونلتمسه فقال عز وجل: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ (سورة النور: ٣٦-٣٧).

وهذه البيوت هي المساجد يجد فيها المؤمنون بُغيتهم من النور والإيمان.

وتلحظ أيها الأخ الكريم أن الله عز وجل وصف هؤلاء الرجال بأنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولم يقل: لا يتاجرون، ولا يبيعون، والفرق واضح فأهل بيوت الله لا حرج عليهم حين يخرجون من هذه البيوت أن يتجروا ويبيعوا ويشتروا، ولكن هذا لا يلهيهم عن العودة إلى بيوت الله من قريب يجيبون داعي الله، ويلبون المنادي حين ينادي حي على الصلاة حي على الفلاح.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادَى بين الرجلين حتى يُقام في الصف» (أخرجه مسلم: ٦٥٤).

ومما هو جدير بالذكر هنا أن تستحضر هذا المعنى وهو أن الخطوات التي يخطوها المسلم؛ ليصل إلى المسجد يُؤجَر عليها ويثاب، ويُكفَّر عنه من خطاياه، والوسائل لها أحكام المقاصد، فما بالك بمُكْثه في المسجد، وتعبده لله فيه.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، خمسًا وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد، لا يريد إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد، كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلي-يعني عليه الملائكة- ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه" (صحيح البخاري: ٤٧٧، وصحيح مسلم: ٦٤٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط» (صحيح مسلم: ٢٥١).

وقد حرص الكرام الأخيار من أصحاب النبي المختار على إحراز هذا الفضل، ورأوا البعيد قريبًا، والشاق سهلاً، وهانت عليهم المسافات البعيدة التي يقطعونها ليشهدوا الصلاة في المسجد احتسابًا والتماسًا للأجر والثواب من الكريم الوهاب.

عن أبي بن كعب، قال: "كان رجل لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة، قال: فقيل له: أو قلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء، قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد جمع الله لك ذلك كله» (صحيح مسلم: ٦٦٣).

أيها الكرام: إن مساجدنا اليوم بعد رمضان تفقد كثيرًا ممن دخلوها، وتعبدوا لله فيها، وكأنهم كانوا ضيوفًا عليها في هذا الشهر فقط ثم رحلوا عنها، وهي في حقيقة الأمر بيوت الصالحين والمتقين، وهم أهلها وعمّارها، قلوبهم متعلقة بها، يسارعون إليها، ويغدون ويروحون عليها بل ويشتاقون إليها.

وقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/٢٥٩) في ترجمة عاصم بن أبي النجود القارئ الشهير الذي ذاع صيته، وجعل الله لقراءته القبول والانتشار أنه كان "إذا صلى، ينتصب كأنه عود، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابدًا، خيرًا، يصلي أبدًا، ربما أتى حاجة، فإذا رأى مسجدًا، قال: مل بنا، فإن حاجتنا لا تفوت".

إذا أردت أن تكون من أهل بيوت الله، وعمار المساجد حقًا وصدقًا فكن من هؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل في سورتي التوبة والنور: قال تعالى: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ» (التوبة:١٨)، وقال تعالى: «رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ» (سورة النور: ٣٧).

ولأهمية المساجد في الإسلام فقد وردت أحاديث كثيرة في بيان أحكامها وفضلها، ولا غرو أن صنّف بعض العلماء مؤلفات مستقلة في بيان المساجد وأحكامها كبدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه: "إعلام الساجد بأحكام المساجد"، وكأبي بكر بن زيد الجراعي الصالحي الحنبلي (ت٨٨٣هـ) في كتابه "تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد"، وابن طولون (ت٩٥٣هـ)، وغيرها من المؤلفات الخاصة بأحكام المساجد فضلاً عن كتاب المساجد الموجود ضمن كتب السنة وأمهات الحديث النبوي.

ومن هذه الأحكام الجليلة التي تدلك على أن الغاية العظمى من دخول المساجد العبادة والصلاة ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين» (صحيح البخاري، وصحيح مسلم ٧١٤).

ومن ذلك النهي عن البيع والشراء، وانشاد الضالة في المساجد؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد؛ فليقل: لا ردها الله عليك؛ فإن المساجد لم تبن لهذا» (صحيح مسلم ٥٦٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً، فَقُولُوا: لَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ"(أخرجه الترمذي في سننه ١٣٢١، وابن خزيمة في صحيحه ١٣٠٥).

ومن أحكام المساجد أيضا: جواز الاعتكاف فيه، إلى غير ذلك مما يدلك دلالة واضحة على أهمية المسجد للفرد والمجتمع والأمة.

جعلنا الله من عُمّار بيوته، المحافظين على طاعته، الراغبين في جنته، الخائفين من عذابه. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحج مدرسة تربوية

إعداد د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد - كلية التربية - جامعة الباحة سابقا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما أن يذكر بيت الله الحرام في بلد الله الحرام حتى ترق الأفئدة، وتهفو القلوب، وتشتاق النفوس، وتحن الأرواح إجلالاً وشوقاً وحباً واعظاماً لله رب العالمين؛ قال تعالى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ" (آل عمران:٩٦-٩٧).

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى لحج بيته الحرام ميقاتاً معلوماً من السَّنة يتأدى فيه، فكان بذلك موسماً مشهوداً تلتقي فيه وفود القادمين إلى البيت الحرام من مختلف الأقطار والأمصار، وفي لقائهم هذا يحصل خير كثير يرجونه، ومنافع يشهدونها، قال تعالى" وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ "(الحج:٢٧-٢٨).

والحج بمفهومه الشرعي رحلة روحية ينتقل فيها المسلم من عالم المادة إلى عالم العبودية الخالصة، وهو بمفهومه الحضاري تجمع بشري عالمي يجمع ملايين الناس بدون فوارق طبقية وبدون انتماءات طائفية أو نزاعات قبلية، فهم جميعاً يتوحدون بقلوبهم وايمانهم وانتمائهم الرباني، تلبيةً لنداء الله عز وجل وهم يرددون "لبيك اللهم لبيك،

لبيك لا شريك لك لبيك"، وكذلك الحج بمفهومه الاقتصادي موسم تجارة، معرض نتاج، وسوق عالمية تقام في كل عام، والحج سياحة إيمانية، وفي هذا اللقاء البهيج الجامع للحجيج المفعم بالإيمان، تتجلى كثير من المعاني الإيمانية والاجتماعية.

إن الحج أكبر مظهر للاجتماع الإنساني على الأرض، وفي أفيائه يجد المسلمون أعظم الفرص للقاء، وتداول الآراء، وتبادل التجارب، والحوار المثمر العميق في قضايا المسلمين ومستجداتهم.

مفهوم الحج:

الحج لغة: القصد. واصطلاحاً: القصد في أشهر معلومات إلى البيت الحرام للنسك والعبادة، استجابة لأمر الله تعالى، وابتغاء مرضاته.

والحج أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو فريضة يشترط لوجوبه شروط، هي: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والاستطاعة، والاستطاعة هنا تكون مالاً وبدناً، قال تعالى "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ" (آل عمران:٩٧).

شعار الحج:

لبيك اللهم لبيك..لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك.. يهتف الحجيج من أول إحرامهم بهذه الكلمات العظيمة الرائعة الطيبة المثمرة في نفوسهم المتعلقة بالايمان معلنين بذلك الطاعة المطلقة لله رب العالمين.

إن هذه التلبية هي ما نحتاجه اليوم لتستقيم أمورنا وتستقيم حياتنا، فالخلل الكبير الذي يصيب الأمم ينشأ يوم تنفصل الأقوال عن الأفعال، إننا نريد "لبيك" واقعاً عملياً في حياة المسلمين بحيث تنقي أنفسنا من الأحقاد والضغائن وموجبات الشقاق، وأن يشيع خلق العفو والتسامح بين الناس لله وحده قبل أي شيء آخر. وتهفو نفس المسلم، وتتطلع لأداء هذه الفريضة متجشماً وراضياً كل مشقة في سبيل أداء فريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدسة.

مناسك الحج ودلالتها التربوية:

الحق أن لكل عمل من أعمال مناسك الحج دلالة تربوية ينطوي عليه، ومعنى يرمز إليه، يجب أن يلتفت إليه المسلم، وهو يؤدي صورة هذه الأعمال. فما الإحرام في حقيقته وهو أول مناسك الحج إلا التجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل شيء ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله. وما التلبية إلا شهادة على النفس بهذا التجرد، وبالتزام الطاعة والامتثال. وما الطواف بعد التجرد إلا دوران القلب حول قدسية الله، صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم، الذي ترى نعمه، ولا تدرك ذاته، وما السعي بعد هذا الطواف إلا التردد بين علمي الرحمة التماساً للمغفرة والرضوان، والوقوف بعد السعي إلا بذل المهج في الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية وأيدٍ مرفوعة بالرجاء، وألسنة مشغولة بالدعاء، وآمال صادقة في أرحم الراحمين. وما الرمي بعد هذه الخطوات التي تشرق بها على القلوب أنوار ربها إلا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر، ونزعات النفس، وإلا رمز مادي لصدق العزيمة في طرد الهوى المفسد للأفراد والجماعات.

الدروس التربوية للحج:

حملت شعيرة الحج دروساً وعبر إيمانية عظيمة من شأنها انتشال البدن من أوحال المادة والارتقاء به في رحلة روحية إلى الله في الأراضي المقدسة.. وفيها أيضاً التسليم الخالص لقضاء الله والامتثال المطلق لأوامره واجتناب نواهيه، وليس أدل على ذلك من تسليم خليل الله إبراهيم عليه السلام بذبح فلذة كبده، رافعاً شعار: لبيك يارب.

وللحج في الإسلام أهمية كبرى وفضل عظيم، وقد وردت آثار عديدة دالة على ذلك، منها قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله؟ قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور". وقال صلى الله عليه وسلم "من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه"(رواه البخاري ومسلم)، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"(رواه البخاري ومسلم).

وفي فضل الحجاج والعُمار روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال"الحجاج والعمّار، وفد الله، إن دعوه أجابهم، وان استغفروه غفر لهم".

وكل ما يقوم به المسلم من عبادات، هي سلوكيات حميدة مفيدة تنعكس آثارها الإيجابية على حياته، وحياة أفراد المجتمع من حوله، وتتجلى أهم آثار الحج التربوية في النقاط التالية:

يبرز الحج وحدة المسلمين وتماسكهم، وأنهم يسعون إلى هدف واحد، ومصير مشترك، هو مرضاة الله تعالى والفوز بجنته.

يطهّر الحج البدن ظاهراً وباطناً، مادياً وروحياً؛ فالحج طهارة شاملة للروح والبدن والمال. إذ يرجع منه الحاج طاهراً معافى كيوم ولدته أمه.

يربي المسلم على كظم غيظه وضبط انفعالاته عند احتكاكه بالحجاج الآخرين في أداء المناسك وسط الزحام؛ حيث يمنع الرفث والفسوق والجدال في الحج.

يوسّع الحج فكر المسلم، وينمي ثقافته، ويزيد من خبراته، من خلال احتكاكه بشخصيات إسلامية متعددة، ذات لغات مختلفة، وثقافات متنوعة، وتقاليد وعادات متباينة، فيكتسب منهم ويتأثر بهم.

يربي الحج المسلم على العدل والمساواة؛ إذ يرى جميع الحجاج يلبسون زياً أبيض واحداً، ويؤدون مناسك واحدة، ويقفون على صعيد واحد، ويلبون بصوت واحد، ويرجون رحمة رب واحد.

والحق أن لكل عمل من أعمال مناسك الحج دلالة تربوية ينطوي عليه، ومعنى يرمز إليه، يجب أن يلتفت إليه المسلم، وهو يؤدي صورة هذه الأعمال. فما الإحرام في حقيقته وهو أول مناسك الحج إلا التجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل شيء سوى الله، وعلى التفكير في جلاله. وما التلبية إلا شهادة على النفس بهذا التجرد، وبالتزام الطاعة والامتثال.

إن الحج أحد أعظم مظاهر القوة في ديننا العظيم، ولو أن الأمة فهمت مقاصد الحج وغاياته، ولو أنها أدته كما يجب أن يؤدّى، ولو أنها عاشته وعايشته ركناً ركناً ونسكاً نسكاً لتغيّر وجهها، ولغيرت هي وجه الأرض والتاريخ.

إن للحج تأثيرًا عظيمًا في تزكية النفوس واصلاح القلوب؛ لما فيه من معاني العبودية، ومظاهرها التي تجلت في كل أعماله ومناسكه، فأثمرت في واقع السلف قلوباً زكية تقية، وأبداناً طاهرة نقية.

فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وهو من أفضل الأعمال، والحج كالجهاد في أجره، والحاج كالمجاهد في المنزلة، وللحاج كرامة عند الله بها يستجاب دعاؤه ويغفر ذنبه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"(رواه البخاري ومسلم).

نسأل الله أن ييسر لنا سبيلاً إلى الحج والعمرة، وأن يتابع لنا بينهما، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قصة
بيان أصول أذكار الطرقية

إعداد الشيخ/ علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة قصة بيان أصول أذكار الطرقية، والتي تأثر بها جهال العوام والمبتدعة الطغام، واشتهرت وانتشرت في كثير من البلاد، والى القارئ الكريم بيان عارها وكشف عوارها.

أولا: أسباب أصول أذكار الطرقية:

لقد انتشرت الطرقية في القرى والنجوع والكفور والمدن واستقرأت حال أذكارهم في موالدهم وفي احتفالاتهم حول المساجد والقبور، فرأيت أذكارهم أذكارًا بدعية مبنية على قصائد حلولية واتحادية.

ولقد رأيت بعيني وأنا صغير في خمسينيات القرن الماضي العديد من الطرق في قريتنا كغيرها من القرى، وعلمت أنه سيأتي إلى قريتنا شيخ طريقة وهو عالم مشهور وأستاذ في اللغة العربية، وكنت قد تجاوزت الثانية عشرة من عمري وسأل سائل الشيخ سؤالًا ظنّ مريدوه أنه يعترض، وعلى قاعدتهم: «مَن اعترض انطرد أو طُرد».

ولكن الشيخ منعهم وأخذ يجيب عن السؤال:

وكان السؤال: ما الدليل على الطواف حول المقصورة الخشبية المحيطة بقبر سيدهم ووليهم وتقبيل الخشب والحجر؟

فكانت إجابة الشيخ: العبرة ليست بالخشب ولا بالحجر، ولكن بمن بداخل الخشب والحجر، ثم أنشد يقول وكأنه يُنبّه على الدليل:

أمر على الديار ديار ليلى
أُقبّل ذا الجدار وذا الجدار
وما حُبّ الديار شغفن قلبي
ولكن حُبّ مَن سكن الديار

ورأيت القوم يتمايلون للإجابة وعلت أصواتهم طربًا، وانتقلت بعد ثلاث سنوات إلى المرحلة الثانوية، وعلمت من مشايخي وأساتذتي في اللغة العربية وعلومها -رحمهم الله- أن هذه الأبيات لا علاقة لها بالأدلة الشرعية، وما هي

إلا أبيات في الغزل في العصر الأموي للشاعر قيس بن الملوح من قصيدة له.

ولقد انتشرت قصائد الغزل في أذكار الطرقية، وكذلك تائية ابن الفارض وهي نظم نظمه ابن الفارض في «تائيته». وهو المذهب الذي انتحله ابن عربي وهو مذهب «الاتحادية»، وهي طائفة من طوائف الملاحدة في «توحيد المعرفة والإثبات»، بيّن أصولها وكشف إلحادها الشيخ الحكمي في كتابه «معارج القبول» (١/ ٣٧٠)؛ هذا الكتاب الذي كان يُدرّس في معاهد إعداد الدعاة النموذجية بجماعة أنصار السنة المحمدية، من بين المناهج التي أقرّها وزير الأوقاف المصرية الأسبق الدكتور زقزوق رحمه الله، ووفقني الله لتدريسه مع علوم الحديث حرصًا على ربط الإسناد بالاعتقاد؛ ليخرج الطلاب بعقيدة أهل الحديث الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَن أراد أن يقرأ عقيدة أهل الحديث فهذا هو أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري الذي افتتح صحيحه بكتاب «الوحي» في سبعة أحاديث ثم كتاب «الإيمان» في اثنين وأربعين بابًا، فيها الرد على الخوارج والمعتزلة والمرجئة، ثم ختم صحيحه بالكتاب (٩٧) وهو كتاب «التوحيد والرد على الجهمية» في ثمانية وخمسين بابًا، وفقني الله وحده لشرحها في مائة وسبعة عشر مجلسًا من مجالس مسجد المركز العام بعابدين.

وأمام عقيدة أهل الحديث تنكشف أباطيل هذه الفرق ويستبين بدع وإلحاد هذه الطرق؛ لأن هذه الفرق وهذه الطرق لا توجد إلا في ظلمات الجهل، كما لا توجد الخفافيش إلا في ظلمات الليل.

ثانيًا: أصول بدعية مركبة في أذكار الطرقية:

١- المدد البدعي: مَن استقرأ أذكار الطرقية في القرى والنجوع والكفور والمدن في موالدهم واحتفالاتهم وجد هناك نظمًا مشتركًا في «المدد البدعي» يقول فيه شيخهم ومنشدهم: «مدد يا سيدي فلان، ويذكر الاسم والمكان». ويُعدّد جميع مشايخ الطرقية ذاكر اسمه، ومكانه، طالبًا منه المدد؛ هذا المدد البدعي المنكر يطلبه من أموات في قبورهم، ولا يطلب المدد من الحي الذي لا يموت.

والمدد الشرعي تبينه الآية التاسعة من سورة الأنفال يوم بدر في معركة غير متكافئة في العدد والعدة، قال تعالى مخاطبًا النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة الكرام: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (الأنفال: ٩-١٠)، انظر إلى قوله تعالى: «أَنِّي مُمِدُّكُم» فالنبي صلى الله عليه وسلم علّم الصحابة في بدر كيف يأخذوا بالأسباب عملًا بقول الله تعالى في الآية (٦٠) من سورة الأنفال: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ»، وعلمهم في الوقت نفسه الاستعانة بالله والاستغاثة بالله حتى يتحقق لهم المدد من الله، فلا يُعجبون بالأسباب، وإن كثرت كيوم حنين، ولا يخافون من الأسباب وإن قلت؛ فمدد الله لا يُحدّ؛ فهذا هو المدد الشرعي للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

والمدد الشرعي: لا يُنال بالابتداع، ولكن يُنال بالاتباع، فمفتاح المدد الشرعي التعبد لله باسمه الغفار؛ قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا» (نوح: ١٠-١٢).

انظر إلى قوله تعالى: «وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ

وبَنِين». وتدبّر تجد أن هذا المدد من الله يتحقق بالتعبد لله باسمه الغفار كما بيّنه الحق في القرآن الكريم على لسان شيخ الأنبياء نوح عليه السلام، ولهذا تتبين الحكمة في قسم خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح (٦٣٠٧) من حديث الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

هذا هو المدد الشرعي يُطلب من الله وحده، ويُنال بالتعبد لله باسمه الغفار.

أما المدد البدعي: عند الطرقية كما بيّنّا آنفًا يطلبونه من ساداتهم أرباب طرقهم في قبورهم وهذا ما تسمعه من منشديهم في احتفالاتهم وعلى قنواتهم يقولون: «مدد يا سيدي فلان، سيدي فلان مدد».

ويا ليتهم اكتفوا بهذه البدعة، ولكنهم زادوا هذه البدعة بدعة بالمعازف والمزمار، فإذا نظرت لرأيت شيخًا منشدًا يتمايل طالبًا المدد من سادته الموتى مستعينًا بفرقة تطلب معه المدد برباب وعود وأوتار ومزمار، ودق وصنوج، إنه مدد بدعي مركب.

٢- التخريج: حاولت أن أبحث عن هذا الذكر بالرباب والعود والدف والأوتار في جميع كتب السنة الأصلية في «السنن» و«المعاجم» و«المسانيد» و«المصنفات» وغيرها، فلم أجد هذا في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ولا أفعاله ولا أفعال أصحابه وسألت نفسي؟

كيف سوّلت لهؤلاء الطرقية أنفسهم أن يفعلوا هذه الأفعال والأذكار التي لا أساس لها من الكتاب والسنة ويجادلون عنها، وبينما أنا أبحث هداني الله إلى أصل وأساس ما يفعلونه هؤلاء الطرقية.

ثالثًا: أصل ذكر الطرقية بالمعازف والآلات الموسيقية:

بعد بحثي في كتب السنة الأصلية ولم أجد ذلك لم يهدأ لي بال حتى أقف على أساس هذا الضلال الذي انتشر في البلاد وفي القنوات ذِكر بدعي ومدد بدعي يقام على المعازف، وبينما أنا أبحث وجدت ذلك من فعل اليهود المغضوب عليهم في كتابهم «الكتاب المقدس» في «العهد القديم» في «المزمور المائة والخمسين» ص (٩٣٦) ختام المزامير يقول: «هللويا. سبّحوا الله في قدسه، سبحوا الله في قدسه، سبحوه في فلك قوته، سبحوه على قواته، سبحوه حسب كثرة عظمته، سبحوه بصوت الصور، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج التصويت، سبحوه بصنوج الهتاف، كل نسمة فلتسبح الرب هللويا». اهـ.

رابعًا: إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عمن يوافق اليهود ويتبعهم:

أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» ح (٧٣٢٠)، والإمام مسلم في «صحيحه» ح (٢٦٦٩) من حديث الصحابي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبّ لاتبعتموهم» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟».

قال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» لهذا الحديث: «هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم». اهـ.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه، وسنواصل الرد، والله وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ/ علي حشيش

«حامل كتاب الله له في بيت مال المسلمين في كل سنة مائتا دينار».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٣٨) مكتبة الحرم النبوي الشريف «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال: «فر عن سليك».

قلت: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي.

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم مَن لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث موضوع.

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على معرفة حد «الحديث الموضوع» لابد من بيان معناه الاصطلاحي:

الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أيّ معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه. كذا في «تدريب الراوي» (١/٢٧٤) النوع (٢١) للإمام السيوطي.

وكذلك «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع» كذا في «شرح النخبة» ص (٤٠) للحافظ ابن حجر.

وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من خلال التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة لعلم المصطلح التطبيقي.

أولا: التخريج:

الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح (١٤٢٤ - الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا أبي، حدثنا أبو منصور بن شكرويه، حدثنا إبراهيم بن خورشيد قوله، حدثنا حمزة بن الحسين ببلخ قال: أخبرنا أبي، حدثنا أبو الفضل ابن يوغه، حدثنا أبو جعفر محمد بن يوسف بن نوح، حدثنا الحسن بن أبي علي الخشاب، حدثنا العباس بن الضحاك، حدثنا محمد بن أحمد بن عبد الله الهروي، عن مقاتل بن سليمان، عن خولة الطائي، عن سليك الغطفاني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حامل كتاب الله....» الحديث.

ثانيا: التحقيق:

الحديث لا يصح وفيه علتان:

الأولى: مقاتل بن سليمان أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٧٤١/١٧٣/٤) ونقل أن وكيع قال: «مقاتل بن سليمان كان كذابًا»، وأن النسائي قال: «كان مقاتل يكذب». وأن يحيى بن معين قال: «ليس حديثه بشيء»، وأن الجوزجاني قال: «كان دجالًا جسورًا»، وأن البخاري قال: «سكتوا عنه». قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه كما بين ذلك الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» ص (٨٩) فقال: «إن البخاري إذا قال في الرجل (سكتوا عنه) فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها، ولكنه لطيف العبارة في التخريج فليعلم». اهـ.

العلة الأخرى: العباس بن الضحاك: قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٩١/٢): «العباس بن الضحاك شيخ دجّال يضع الحديث لا يعرفه أصحاب الحديث، وما أحتسب أن أحدًا من أصحابنا كتب عنه، ولكني ذكرته ليُعرَف وتُجتنب روايته». اهـ.

الاستنتاج: بتطبيق أقوال أئمة الجرح والتعديل نجدها تنطبق تمام الانطباق على حد الحديث الموضوع.

ولله الأسماء الحسنى

إعداد
الشيخ / إبراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

وفي الصحيحين يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة»، وفي لفظ: «من حفظها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر».

قال العلماء: معنى أحصاها: يعني أتقنها وتدبَّر معانيها، وعمل بمقتضاها فلو أحصاها، ولكن لا يعمل بمقتضاها لا يحصل له هذا الفضل.

فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: فأسماء ربنا كلها حسنى، وله سبحانه الكمالات كلها تقدست أسماؤه وجل ثناؤه وعز جاره سبحانه وتعالى.

يقول القرطبي في تفسيره: «سمى ربنا سبحانه أسماءه بالحسنى لأنها حسنة في الأسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وإفضاله» انتهى.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا...» فليست هذه كل الأسماء، فقد أخبرتنا السنة النبوية المطهرة أن لله سبحانه أسماء أخرى غير التسعة والتسعين، فقد كان من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام: «... أسألك بكلِّ اسم هو لكَ، سمَّيت به نفسَك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقك، أو أنْزلتَه في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أنْ تجعل

القرآن ربيعَ قَلْبي...». (رواه أحمد وابن حبان والطبراني عن عبد الله بن مسعود، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة).

فلله سبحانه أسماء لم يُطلع عليها أحدًا من خلقه، وإنما خص بها نفسه، واستأثر سبحانه بعلمها. وفي حديث الشفاعة الطويل قوله صلى الله عليه وسلم: «... فأنْطلقُ فآتي تحْتَ العَرْش، فأقعُ ساجدًا لربّي عزَّ وجل، ثُمَّ يفْتَحُ الله عَلَيَّ من مَحامده وحُسْن الثَّناء عليه شيئًا، لَمْ يفْتَحْهُ على أحَد قَبْلي...». (رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

وتوحيد الأسماء والصفات هو أحد أقسام التوحيد الثلاثة مع توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وهذا التقسيم إنما دل عليه الاستقراء من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى وأن هذا التقسيم ليس شيئًا مستحدثًا، أحدثه أهل السنة كما يزعم البعض أن أهل السنة جاءوا بهذا التقسيم من عند أنفسهم وأن التوحيد كل لا يتجزأ. فتوحيد الأسماء والصفات أحد هذه الأقسام، فالله سبحانه سمى نفسه أسماءَ أو سمَّاه بها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فليس للمرء أن يتجاوزها إلى غيرها من أسماء أحدثها البعض، وسموا بها ربهم بغير دليل.

وتوحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة يستند إلى أركان ثلاثة: أولاً: الإيمان بما وصف الله به نفسه أو بما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يصف الله أحدٌ كما وصف هو نفسه أو كما وصفه رسوله عليه الصلاة والسلام، فليس هناك من هو أعلم بالله من الله أو من رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: تنزيه الله عز وجل أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين؛ شبيه له ولا ند ولا مثيل: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١)، وقولنا: تنزيه الله يتضمن نفي النقائص والعيوب عن الله سبحانه واثبات كل كمال في إطار قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ». فنفي الشريك والند والمثيل لإثبات كمال عظمة الله وتفرده بالألوهية، ونفي العجز لإثبات كمال القدرة، ونفي الجهل لإثبات سعة العلم والإحاطة، ونفي الظلم لإثبات كمال العدل، وهكذا.

ثالثًا: أن يقطع الإنسان أمله وطمعه عن أن يدرك كيفية الله أو كنهه أو ذاته سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك ليس في استطاعة أحد من البشر؛ لأن الله تعالى يقول: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا» (طه: ١١٠).

كما أننا أُمرنا أن نتفكر في مخلوقات الله، ونُهينا أن نتفكر في ذات الله تعالى.

قوله تعالى: «فَادْعُوهُ بها...»: أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيُطلب بكل اسم ما يليق به، ويختار من أسماء الله ما يناسب حالته: فإن كنت -أيها المسلم- تحتاج الرزق فما عليك إلا أن تسأل الله باسمه الرزاق، فتقول يا رزاق ارزقني، وان كنت تحتاج التوبة ومغفرة الذنوب فما عليك إلا أن تسأل ربك باسم التواب واسمه الغفار فتقول يا تواب تب عليَّ، ويا غفار اغفر لي، وهكذا. وإن دعوت بالاسم الأعظم فقلت يا الله فهذا الاسم علم على الذات المقدسة فهو يتضمن كل الأسماء.

قوله تعالى: «وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ» (الأعراف: ١٨٠)، وقال قتادة: يلحدون أي يشركون، وعن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب، وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد والميل والجور والانحراف.

فمعنى يلحدون في أسمائه: أي يميلون بها عن حقيقتها ويصرفونها إلى غير معانيها،

فالجاهلون اشتقوا لله سبحانه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان؛ فاشتقوا اللات من الله، واشتقوا العزى من العزيز، واشتقوا مناة من المنان، وغير ذلك من الأسماء، وكذلك فعل البعض من هذه الأمة فسموا الله أسماءً لم يسمها الله ولا رسوله، فوصفوا الله مثلاً بالقديم، وهذا اسم لم يسمِّ الله به نفسه في كتابه، وكذلك لم يسمه به رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يرد لفظ القديم في القرآن إلا على سبيل الذم والقدح كما في قوله تعالى عن إخوة يوسف: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف: ٩٥)، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس: ٣٩)، كما أن لفظ القديم يستوجب أن هناك من هو أقدم منه، ولكن الله سبحانه سمى نفسه «الأول» كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد: ٣).

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يقول في دعائه: «... أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء...». (رواه مسلم عن أبي هريرة).

يقول الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله في شرحه للعقيدة الواسطية: «فهنا تفسير واضح جامع يدل على كمال عظمته سبحانه وأنه محيط بالأشياء من كل وجه، فالأول والآخر بيان لإحاطته الزمانية، فالله كان ولم يكن معه شيء، والكل سيفنى ولا يبقى إلا وجه الله تعالى. والظاهر والباطن بيان لإحاطته المكانية»؛ قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ١٤٨).

فالله سبحانه لا يغيب عنه شيء من أمور الخلق، بل إنه سبحانه يعلم سرهم ونجواهم، كما أن اسم الظاهر يدل على أنه تعالى فوق جميع خلقه فلا شيء فوقه فهو سبحانه الأعلى والعلي العظيم، كما أن اسم الباطن دال على قربه ومعيته». اهـ.

فليس للمرء المسلم أن يعدل عن أسماء الله التي سمى بها نفسه وسمَّاه بها رسوله صلى الله عليه وسلم إلى غيرها من الأسماء، فالأصل أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام.

والله تعالى يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الإسراء: ١١٠).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، يصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكييف والتعطيل فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فمن نفى صفاته كان معطلاً، ومن مثَّل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلاً، «لَيسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ» فالمُمثِّل يعبد صنمًا والمُعطِّل يعبد عدمًا». اهـ. (مجموع الفتاوى: ٦/٥١٥).

فأنت أيها المسلم الكريم ما عليك إلا أن تتعبد لله سبحانه بأسمائه الحسنى في كل موقف تتعرض له في حياتك، وأن تتخير من تلك الأسماء ما يناسب حالك وأن تقدم بين يدي دعائك الثناء على الله كما جاء في القرآن الكريم وكما كان يفعل رسولنا صلى الله عليه وسلم.

فسبحان الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر. والحمد لله عدد خلقه وزنه عرشه ورضا نفسه ومداد كلماته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد خير من عبد ربه وأعظم من سجد لمولاه وعلى آله وأصحابه وذريته وأهل بيته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحلقة (١٠)

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

الكلام عن: (الجهة) (المكان) (الحيز)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: ففي العبارات التي سبق أن ذكرناها للشيخ الألباني رحمه الله فيما يتعلق بإثبات الجهة لرؤية الله، والتي اتكأ فيها على كلام أئمة أهل السنة والجماعة، حسمٌ لهذه القضية التي عادة ما يتهمُ فيها الأشعرية أهل السنة بالخروج من ملة الإسلام ظنًا منهم أن أهل السنة- وحاشاهم- يثبتون (الحيز والتغير والحدوث) لله تعالى، على الرغم من براءتهم من كل هذا براءة الذئب من دم ابن يعقوب. ويحق لنا بعد قوله: "إن أريد بالمكان أمر وجودي وهو الذي يُتبادر لأذهان جماهير الناس اليوم، ويتوهمون أنه المراد بإثباتنا لله تعالى صفة العلو".

١) نصيحة مُحدّث العصر -رحمه الله- في حل إشكالية إثبات الجهة:

يحق لنا أن نسوق نصيحته التي فيها يقول: "فإذا سمعت أو قرأت عن أحد الأئمة والعلماء نسبة المكان إليه تعالى، فاعلم أن المراد به: معناه العدمي، يريدون به إثبات صفة العلو له تعالى، والرد على الجهمية والمعطلة الذين نفوا عنه سبحانه هذه الصفة، ثم زعموا أنه في كل مكان بمعناه الوجودي"، وأن نسوق ما علّق به على ما قاله العلامة ابن القيم في قصيدته (النونية):

والله أكبر ظاهرٌ، ما فوقه
شيء، وشأن الله أعظم شان

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

والله أكبر عرشه وسع السما
والأرض والكرسيَّ ذا الأركان
وكذلك الكرسيُّ قد وسع الطبا قَ
السبع والأرضين بالبرهان
والله فوق العرش والكرسيِّ
لا تخفى عليه خواطر الإنسان
لا تحصروه في مكان إذ تقو لوا:
ربنا حقا بكل مكان
نزّهتموه بجهلكم عن عرشه
وحصرتموه في مكان ثان
لا تعدموه بقولكم: لا داخل
فينا ولا هو خارج الأكوان
الله أكبر هُتِّكتْ أستاركم
وبدتْ لمن كانت له عينان
والله أكبر جل عن شِبْه وعن
مثل وعن تعطيل ذي كفران

إذ يقول في مقدمته على كتاب (العلو) للحافظ الذهبي: "إذا أحطتَ علمًا بكل ما سبق، استطعت- بإذن الله تعالى- أن تفهم بيسر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والآثار السلفية التي ساقها المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب- الذي بين يديك (مختصره)- أن المراد منها:

إنما هو معنى معروف ثابت لائق به تعالى، ألا وهو

علوه سبحانه على خلقه واستواؤه على عرشه على ما يليق بعظمته، وأنه مع ذلك ليس في جهة ولا مكان، إذ هو خالق كل شيء ومنه: (الجهة والمكان)، وهو الغني عن العالمين، وأن من فسرها بالمعنى السلبي، فلا محذور منه، إلا أنه مع ذلك لا ينبغي إطلاق لفظ (الجهة والمكان) ولا إثباتهما، لعدم ورودهما في الكتاب والسنة، فمن نسبهما إلى الله فهو مخطئ لفظًا إن أراد بهما الإشارة إلى إثبات صفة العلو له تعالى، وإلا فهو مخطئ معنى أيضًا إن أراد به حصره تعالى في مكان وجودي، أو تشبيهه تعالى بخلقه، وكذلك لا يجوز نفيُ معناهما إطلاقًا إلا مع بيان المراد منهما لأنه قد يكون الموافق للكتاب والسنة، لأننا نعلم بالمشاهدة أن النفاة لهما إنما يعنون بهما: نفي صفة العلو لله تعالى من جهة، ونسبة التجسيم والتشبيه للمؤمنين بها".

على أن اتهام أهل البدع وأعداء السنن أهل الحديث بمثل هذه التهم قديم، منذ أن نشب الخلاف بينهم في بعض مسائل التوحيد والصفات الإلهية، ويتضح ذلك في قول الإمام أبي حاتم الرازي ت٢٧٧، إذ يقول في معتقده الذي نقله عنه ابنه أبو محمد عبد الرحمن وهي بنصها وتمامها في (جمهرة عقائد أئمة السلف) لمحمد محب الدين أبو زيد ص٢٣٩ وما بعدها: "علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة: أن يسموا أهل الأثر حشوية يريدون إبطال الآثار، وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة القدرية- المعتزلة-: تسميتهم أهل السنة مُجبرة، وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية- لقولهم بأن الإيمان يزيد وينقص- وعلامة الرافضة: تسميته أهل السنة ناصبة، وكل هذا عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء". اهـ.

وبنحو من ذلك ذكر شيخ الإسلام الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني شيخ نيسابور في زمانه (ت٤٤٩) في معتقده (عقيدة السلف أصحاب الحديث) وهي في ص٤٤٩ بنفس المصدر، والإمام عبدالقادر الجيلاني سيد الوعاظ (ت٥٦١) في معتقده، وهو في ص٥٥٢ بنفس المصدر وكتابه (الغنية) ص١٠٢، وغيرهما.

٢) صالحوا الخلف يرددون كلام القرطبي وشيخ الإسلام في أثبات الجهة:

وأن نعرض لبعض فتاوى صالحي الخلف من أئمة أهل السنة المعاصرين، فقد جاء لبعضهم في فتوى ما نصه: "إن أهل السنة يعتقدون أن الله تعالى فوق خلقه عالٍ عليهم بائن منهم، أما مسألة الجهة هذه: فقد قال القرطبي في تفسيره بعد ذكر كلام المتكلمين في الجهة: (وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة). اهـ.

وقد بين شيخ الإسلام في أكثر من موضع من كتبه أن (الجهة) لفظ مجمل يحتمل حقا وباطلاً، والسبيل فيما هذا شأنه من الألفاظ: أن يُستفصل عن معناه، فإن كان باطلاً رُدَّ، وإن كان حقا قُبل وعُبِّر عنه باللفظ الشرعي، وإليك شيء من كلامه رحمه الله فقد قال في منهاج السنة النبوية: "وكذلك الكلام في لفظ الجهة، فإن مسمى لفظ (الجهة) يُراد به أمرٌ وجوديٌ كـ(الفلك الأعلى)؛ ويراد به أمرٌ عدميٌ كـ(ما وراء العالم).. فمن قال: (الباري في جهة) وأراد بالجهة أمرًا موجودًا فكل ما سواه مخلوق له، ومن قال: (إنه في جهة) بهذا التفسير فهو مخطئ.. وإن أراد بالجهة أمرًا عدميًا وهو ما فوق العالم، وقال: (إن الله فوق العالم)؛ فقد أصاب، وليس فوق العالم موجود غيره: فلا يكون سبحانه في شيء من الموجودات، وأما إذا فسرت الجهة بالأمر العدمي- يعني: من غير أن يقصد بالعدمي: ما وراء العالم- فالعدمُ لا شيء، وهذا ونحوه من الاستفسار وبيان ما يُراد باللفظ من معنى صحيح وباطل يزيل عامة الشبه". اهـ.

وقال أيضًا في مجموع الفتاوى: "وقد أخبرنا- سبحانه - أنه قد استوى على العرش، فهذه النصوص يصدق بعضها بعضًا؛ والعقل أيضًا يوافقها ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته

فوق سماواته، وأن وجود موجود لا مباينٌ للعالم ولا مُحايثٌ له: محال في بديهة العقل، فإذا كانت (الرؤية) مستلزمة لهذه المعاني - يعني: كونه سبحانه فوق سماواته وعرشه؛ مباين لمخلوقاته - فهذا حق، وإذا سميتم أنتم هذا قولاً بـ(الجهة) وقولاً بـ(التجسيم)؛ لم يكن هذا القول نافيًا لما عُلم بالشرع والعقل.

ويقال لهم: ما تعنون بأن هذا إثبات لـ(الجهة) والجهة ممتنعة؟؛ أتعنون بـ(الجهة) أمرًا وجوديًا أو أمرًا عدميًا، فإن أردتم أمرًا وجوديًا وقد عُلم أنه ما ثمَّ موجود إلا الخالق والمخلوق والله فوق سماواته بائن من مخلوقاته، لم يكن والحالة هذه في جهة موجودة، فقولكم إن المرئي لا بد أن يكون في جهة موجودة قول باطل، فإن سطح العالم: المرئي؛ وليس هو في عالم آخر.

وإن فسرتم (الجهة) بأمر عدمي كما تقولون: إن الجسم في حيز، والحيز تقدير مكان؛ وتجعلون ما وراء العالم حيزًا، فيقال لكم: (الجهة) و(الحيز) إذا كان أمرًا عدميًا فهو لا شيء وما كان في جهة عدمية أو حيز عدمي فليس هو في شيء، ولا فرق بين قول القائل: (هذا ليس في شيء)؛ وبين قوله: (هو في العدم أو أمر عدمي)، فإذا كان الخالق تعالى مباينًا للمخلوقات عاليًا عليها وما ثم موجود إلا الخالق أو المخلوق، لم يكن معه غيره من الموجودات فضلاً عن أن يكون هو سبحانه في شيء موجود يحصره أو يحيط به.

فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل؛ ويراعون أيضًا الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردُّوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقًا وباطلاً نسبوه إلى البدعة أيضًا؛ وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة وردَّ باطلا بباطل" ا.هـ.

هذا وينبغي لطالب العلم أن يدرس النصوص الشرعية ويتعلمها ويبتعد عن إيراد الشبه على قلبه، لئلا تسبب له الزيغ، فقد قال ابن القيم في (مفتاح دار السعادة): "قال لي شيخ الإسلام رحمه الله وقد جعلتُ أورد عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربتَ قلبك كلَّ شبهة تمر عليها صار مقرًا للشبهات، فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك، وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل" ا.هـ.

ونحن على ذلك سائرون وبه قائلون، وإنما دعانا للاستفاضة فيه وللاستفصال: كثرة اللغط وعلو صوت الباطل وكثرة ما يثيره المخالفون من شبهات واتهامات لجموع أهل السنة، والله من وراء القصد.

وجاء في فتوى أخرى ما ملخصه:

"اعلم أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله تعالى مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ولا يماثل استواء المخلوقين، وأنه بائن من خلقه، وعلى هذا أدلة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. ومعنى (الاستواء) عند أهل السنة والجماعة هو: (العلو والارتفاع)، وليُعلم أنه لا يجوز إبطال دلالة النصوص المثبتة لصفة (الاستواء) بمجرد أوهام يظن صاحبها أنها دلالات عقلية، إذ إن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح.

واعلم كذلك أن (صفة المكان) لم تثبُت في الكتاب ولا في السنة، فلا نُثبتها ولا ننفيها، والقول بالمكان العدميّ لم يَسبق إلى إثباته أحد من سلف الأمة، وليسعنا ما وسعهم.

هذا وإن أهل السنة يعتقدون أن الله فوق خلقه عالٍ عليهم بائن منهم، وهذا إن سماه المبتدعة (جهة)؛ فإن ذلك لا يزحزحنا عن اعتقاده لتواتر النصوص به، وقد بيَّن شيخ الإسلام في أكثر من موضع من كتبه أن (الجهة) لفظ مجمل يحتمل حقًا وباطلاً، والسبيل فيما هذا شأنه من الألفاظ أن يُستفصل عن معناه فإن كان باطلاً رُدَّ وإن كان حقًا قُبل وعُبِّر عنه باللفظ الشرعي.

وراجع للفائدة تفسير القرطبي لآية الاستواء في سورة الأعراف، فإنه نقل اعتقاد السلف وأنه لم

ينكر أحد منهم أنه سبحانه استوى على عرشه حقيقة وأنهم لم يقولوا بنفي الجهة، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله.

وأما العرش، فالصحيح أنه أعلى جميع المخلوقات وهو سقفها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والعرش فوق جميع المخلوقات، وهو سقف جنة عدن التي هي أعلى الجنة، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وسقفه عرش الرحمن).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (هو مالكُ كل شيء وخالقه، لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش، مقهورون بقدرة الله تعالى) ا.هـ.

وأما الجمع بين كون الله مستويًا على عرشه وأن عرشه فوق جميع المخلوقات، وبين الحديث الدال على أن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش، فلم نجد لأئمة أهل السنة ذكرًا لذلك بحسب بحثنا، ونحن نؤمن بكل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد سمع صحابة رسول الله هذا الحديث فلم يستشكلوه، فليسعنا ما وسعهم، ولا نخوض فيما ليس لنا به علم، وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في التدمرية: (إن كان المخاطب من الغلاة نفاة الأسماء والصفات؛ وقال لك: (لا أقول هو موجود ولا حي ولا عليم ولا قدير؛ بل هذه الأسماء لمخلوقاته؛ إذ هي مجاز لأن إثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي العليم)، قيل له: (وكذلك إذا قلت: ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير، كان ذلك تشبيهًا بالمعدومات وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات). فإن قال: (أنا أنفي النفي والإثبات)، قيل له: (فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات، فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجودًا معدومًا؛ أو لا موجودًا ولا معدومًا؛ ويمتنع أن يوصف ذلك باجتماع الوجود والعدم أو الحياة والموت أو العلم والجهل؛ أو يوصف بنفي الوجود والعدم؛ ونفي الحياة والموت؛ ونفي العلم والجهل) ا.هـ.

وقد ذكر الحافظ الذهبي في كتابه (العلو) بعض النصوص عن الإمام أبي حنيفة في تكفير من أنكر أن الله في السماء مستو على عرشه، ومنها قوله: (بلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي صاحب (الفقه الأكبر) قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: (لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض)، فقال: (قد كفر، لأن الله تعالى يقول: «ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ» (طه: ٥)، وعرشه فوق سمواته)، فقلت: (إنه يقول: أقول على العرش استوى، ولكن قال لا يدري العرش في السماء أو في الأرض)، قال: (إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر).. وقد أثر عنه قوله: (من أنكر أن الله في السماء فقد كفر).

ومما تواتر نقله عن الإمام الشافعي: قوله: (القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم: الإقرار بأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء).

وقوله – وقد سُئل عن صفات الله وما يؤمن به؟ -: (لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته؛ لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردُّها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله القول بها فيما روى عنه العدول، فمن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه؛ فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والقلب ولا نكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها وتثبيت هذه الصفات، وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال: «لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ» (الشورى: ١١)، وصح عن الشافعي أنه قال في خطبة رسالته: الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه. فجعل صفاته سبحانه إنما تتلقى بالسمع) ا.هـ.

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

اتباع الهوى من الإفساد في الأرض

إعداد د. محمد عبد العزيز
رئيس فرع العاشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الاعتصام بالوحيين -الكتاب والسنة- والتمسك بفهم وهدي سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين من أعظم الأسباب التي تنجي المسلم في الدارين، وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للأمة: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (الأنعام:١٥٣)

واستدبار هذه المنهج والحيدة عنه خروج عن الهدى والشريعة وركوب للهوى، وهذه الدعوة- دعوة الخروج عن الشرائع- يخرج بها علينا فئام من الناس بين الحين والآخر، ولكن الخطورة كل الخطورة أن يحملها من يتزي بزي العلم ويخرج لتوجيه الناس باسم الدين، ولذا كانت هذه الكلمات القليلات والتي سأختصرها تحت هذه العناوين الستة:

١ - وجوب اتباع الشرائع.
٢ - أصحاب الأهواء الزائغون عن الشرائع.
٣ - مراتب الشرائع من حيث العلم بها.
٤ - إنكار المعلوم من الدين بالضرورة.
٥ - حجاب المرأة المسلمة.
٦ - أحكام المواريث، ونصيب البنات مع الأبناء تعصيبًا.

وجوب اتباع الشرائع:

إن الله تعالى أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع للعباد حتى يحققوا غاية شرعية واحدة

يكون بها الثواب والعقاب، وقد بيّن ذلك في كتابه بيانًا واضحًا شافيًا فقال: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ» (الذاريات: ٥٦ - ٥٨).

وهذه الشرائع التي أنزل بها كتبه، وأرسل بها رسله أوجب على العباد اتباعها وعدم الخروج عنها، قال الله تعالى: «وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» (المائدة: ٤٩).

وقال جل شأنه: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (الجاثية: ١٨).

وقال: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» (النساء: ٦٠).

أصحاب الأهواء الزائغون عن الشرائع:

وكل خارج عن هذه الشريعة زائغ عنها إلى غيرها - رأيًا كان الخروج أو استحسانًا- فهو ضال متبع لهواه، قال تعالى: «فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ» (القصص: ٥٠).

وقال تعالى: «وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (الأعراف: ١٧٦).

وقال تعالى: «فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» (النساء: ١٣٥).

قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (الجاثية: ٢٣).

وعَنْ أَبِي عَامِر عَبْد اللَّه بْن لُحيٍّ، قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَامَ حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ -، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ.

وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ.

وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أَحْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ» (أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد في المسند (١٦٩٣٧)، والحاكم في المستدرك (٤٤٣)، والطبراني في الكبير (٨٨٤)). وقال الحاكم: «هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث».

وقال عبد الله بن عون البصري: «إذا غلب الهوى على القلب، استحسن الرجل ما كان يستقبحه».

ورحم الله الشاطبي إذ يقول في كتابه: "الموافقات" (٢ / ٢٨٨): «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه؛ حتى يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبد لله اضطرارًا».

مراتب الشرائع من حيث العلم بها:

وهذه الشرائع التي بُعث بها النبي صلى الله عليه وسلم تنقسم من حيث معرفتها إلى قسمين اثنين:

القسم الأول: ما هو معلوم من الدين بالضرورة، الذي انعقد عليه الإجماع، وظهر حكمه بين المسلمين بحيث لا يُعذر أحد في معرفته، كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم الزنا وشرب الخمر ونحوها، وهذه الشرائع لا تفتقر إلى استدلال لاشتهارها.

القسم الثاني: ما ليس معلومًا من الدين بالضرورة، ولو كان مجمعًا عليه، بحيث لا يشترك في معرفته عامة المسلمين، فلا يكون ظاهرًا ظهور القسم الأول، فيفتقر إلى الاستدلال، كاستحقاق بنت الابن السدس تكملة للثلثين مع البنت.

قال الإمام الشافعي في "الرسالة" (ص ٣٥٨): «العلم علمان: علمُ عامَّة، لا يسعُ بالغًا غير مغلوب على عقله جهْلُه.

قال: ومثل ماذا؟

قلت: مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرّم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا، مما كلّف العبادَ أنْ يَعقلوه ويعملوه ويُعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يَكُفّوا عنه ما حرّم عليهم منه.

وهذا الصنف كله من العلم موجود نصًّا في كتاب الله، وموجود عامًّا عند أهل الإسلام، ينقله عوامُّهم عن مَن مضى من عوامهم، يَحكونه عن رسول الله، ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم.

وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر، ولا التأويل، ولا يجوز فيه التنازع.

قال: فما الوجه الثاني؟

قلت له: ما يَنوبُ العباد من فروع الفرائض، وما يُخصُّ به من الأحكام وغيرها، مما ليس فيه نصُّ كتاب، ولا في أكثره نصُّ سنة، وإن كانت في شيء منه سنة فإنما هي من أخبار الخاصة، لا أخبار العامة، وما كان منه يحتمل التأويل ويُستدرك قياسًا».

وقال ابن دقيق العيد في "إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام" (٢/٢١٧): «فالمسائل الإجماعية تارةً يصحبُها التواترُ بالنقل عن صاحب الشرع، كوجوب الصلاة مثلًا، وتارةً لا يصحبُها التواترُ.

فالقسمُ الأولُ: يكفُرُ جاحدُه؛ لمخالفته التواترَ لا لمخالفته الإجماعَ.

والقسمُ الثاني: لا يكفُرُ به».

إنكار المعلوم من الدين بالضرورة:

ومن المسائل المعلومة من دين الإسلام بالضرورة مسألتان:

المسألة الأولى: هي فرضية الحجاب.

والمسألة الثانية: هي ميراث البنات بالتعصيب مع الأبناء الذكور.

وقد خرج علينا - باسم التجديد لأمر الدين، ونشر السماحة والتنوير- من يشكك في هاتين المسألتين، ويدعو الأمة إلى إعادة النظر فيهما. وسأتناول هذه الدعوى بشيء من الاختصار، تحذيرًا للأمة من هذه الدعوة الهدامة.

حجاب المرأة المسلمة:

إن فرضية الحجاب على المرأة المسلمة البالغة الحرة من المسائل المجمع عليها بين الأمة، وهي من المسائل التي ظهر حكمها بين المسلمين بحيث يشترك في معرفة حكمها الكبير والصغير والرجل والمرأة، بل وهي شعار ظاهر يُعرف به المسلم عند غير المسلمين لا تحتاج إلى استدلال، وهي مذكورة في كتاب الله عز وجل، وكذا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمعت عليها الأمة.

فمن أدلة الكتاب: قول الله عزوجل: «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (النور:٣١).

وقوله: «وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (النور:٦٠).

وقال في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهن أمهات المؤمنين: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» (الأحزاب:٥٣).

وأمر سائر المؤمنات بما أمر به أمهات المؤمنين من الحجاب والستر، فقال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ»

(الأحزاب:٥٩).

وعن أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» أخرجه الترمذي (١١٧٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقد نقل الإجماع على فرضيته جمع من أهل العلم منهم:

ابن حزم في كتابه: "مراتب الإجماع: قال (ص ٢٩): «واتفقوا على أن شعر الحرة وجسمها حاشا وجهها ويدها عورة، واختلفوا في الوجه واليدين حتى أظفارهما أعورة هي أم لا».

وابن عبد البر في كتابه: "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" قال (٦ / ٣٧٦): «وأجمعوا على أن ستر العورة فرض واجب بالجملة على الآدميين».

وقال في "الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار" (٥ / ٤٣٤): «وقد أجمع العلماء على أن من صلى مستور العورة فلا إعادة عليه، وإن كانت امرأة فكل ثوب يغيب ظهور قدميها ويستر جميع جسدها إذا سترت شعرها، فجائز لها الصلاة فيه، لأنها كلها عورة إلا الوجه والكفين، على هذا أكثر أهل العلم».

وقال محمد بن علي الموزعي الشافعي في تيسير البيان لأحكام القرآن (٢/ ١٠٠١): «لم يزل عمل الناس قديمًا وحديثًا في جميع الأمصار والأقطار، فيتسامحون للعجوز في كشف وجهها، ولا يتسامحون للشابة، ويرونه عورة ومنكرًا».

وقد أصدر مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية بتاريخ يوم الخميس ٢٤ ربيع الأول ١٤٤١ هـ ــ ٢١ نوفمبر ــ ٢٠١٩ م بيانًا جاء فيه: «فقد انتشرت في الآونة الأخيرة بعضُ الأفكار والفتاوى التي تدَّعي عدمَ فرضية الحجاب، ولا شك أن مثل هذه الأفكار إنَّما هي ادعاءاتٌ لا تمت للإسلام بصلة. فالحجاب فرضٌ ثبت وجوبُه بنصوص قرآنية قطعية الثبوت والدلالة، وليس لأحدٍ أن يخالف الأحكام الثابتة، كما أنه لا يُقبل من العامة أو غير المتخصصين - مهما كانت ثقافتهم- الخوض فيها».

فهذه المسألة كما ترى من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة، ولاشتهارها فهي لا تحتاج إلى استدلال.

أحكام المواريث، ونصيب البنات مع الأبناء تعصيبا:

وأما أحكام المواريث فقد فصَّلها الله في كتابه، وأجمع عليها المسلمون، وظهرت في الأمة واشتهرت بحيث يشترك في معرفتها الناس، وأنا لا أعني هنا معرفة حساب المواريث، ولا المسائل التي قد تخفى كميراث الجد مع الإخوة، لكن أقصد بذلك المسائل المشتهرة منه كتوريث الأبناء للذكر مثل حظ الأنثيين ونحوها.

قال الله تعالى في محكم التنزيل من كتابه العزيز: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١١).

فهذه الأحكام مما اشتهر وذاع واشترك في العلم بها عامة المسلمين، وأجمعت عليها الأمة في سائر الأعصار.

قال ابن المنذر في كتابه: "الإجماع" (ص ٦٩): «قال الله جلَّ ذكره، وتقدست أسماؤه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ (النساء: ١١)، وأجمعوا على أن مال الميت بين

جميع ولده للذكر مثل حظ الأُنثيين، إذا لم يكن معهم أحد من أهل الفرائض، وإذا كان معهم من له فرض المعلوم، بدئ بفرضه فأعطيه، وجعل الفاضل من المال بين الولد: للذكر مثل حظ الأنثيين.

وأجمعوا على أن للأنثيين من البنات الثلثين».

وقال ابن حزم في "مراتب الإجماع" (ص ١٠٢): «واتفقوا أنه إن كان مع الابنة فصاعدا ابن ذكر فصاعدا أن للذكر مثل حظ الأنثيين بعد سهام ذوي السهام».

وقال ابن رشد الحفيد في "بداية المجتهد" (٢ / ٣٤٠): «وأجمع المسلمون على أن ميراث الولد من والدهم ووالدتهم إن كانوا ذكورًا وإناثًا معًا هو أن للذكر منهم مثل حظ الأنثيين».

وجاء في فتاوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ: ٢٥ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ - ٣ ديسمبر ٢٠١٨ م ــ من فتاوى: الأستاذ الدكتور / شوقي إبراهيم علام ما يلي:

«إبطال دعوى أن قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء: ١١) ليس آيةً محكمة.

أما دعوى أن قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء: ١١) ليس آيةً محكمةً، وأن النص القرآني قابلٌ للاجتهاد: فهو كلام باطل؛ لأن مسائل الميراث على نوعين:

نوع انعقد الإجماع عليه وأصبح معلومًا من الدين بالضرورة -سواء أكان مستنده قطعي الدلالة في الأصل أم صار كذلك بالإجماع على حكمه-، وهذا النوع لا تجوز مخالفته؛ لأنه يشكل جزءًا من هُوية الإسلام، والقدحُ فيه قدحٌ في الثوابت الدينية المستقرة.

أما النوع الثاني: فهو تلك المسائل التي اختلف أهل العلم في حكمها ولم ينعقد عليها الإجماع؛ فالأمر فيها واسع، واختلافهم فيها رحمة، ولا تحجير على من أخذ بأيِّ الأقوال فيها.

وإعطاء البنت نصف نصيب الابن في الميراث هو من أحكام الإجماع القطعية التي لم يختلف عليها علماء المسلمين سلفًا وخلفًا، شأنه في ذلك شأن أحكام الصلاة والزكاة والمعاملات، يجب العمل به ولا يجوز تغييره مهما تغير العصر أو تطاول الزمن، وقد حكى الإجماع على ذلك كثير من الفقهاء:

قال الإمام ابن حزم في "الإحكام في أصول الأحكام" (٣/ ١٥٢، ط. دار الآفاق): [ومما خص بالإجماع قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ ، الآية اهـ.

وقال الإمام ابن بطال في "شرح صحيح البخاري" (٨/ ٣٥٩، ط. مكتبة ابن رشد): (وأجمع العلماء على أن للإخوة الرجال والنساء للذكر مثل حظ الأنثيين) اهـ.

وقال الإمام القرطبي في كتاب "الجامع لأحكام القرآن" (٥/ ٦٠، ط. دار الكتب): (وأجمع العلماء على أن الأولاد إذا كان معهم من له فرض مسمى أعطيه، وكان ما بقي من المال للذكر مثل حظ الأنثيين) اهـ.

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في "أسنى المطالب" (٣/ ٨، ط. دار الكتاب الإسلامي): (فإن اجتمعوا) أي: البنون والبنات (فللذكر مثل حظ الأنثيين) للإجماع، ولآية ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (النساء: ١١)، ولآية ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١٧٦)، وإنما فضل الذكر على الأنثى؛ لأنه قوام على النساء بالنفقة وغيرها) اهـ.»

وختامًا فتجديد الدين شيء وهذا الذي ينتهجه هؤلاء المفسدون شيء آخر، والفرق بينهما هو عين الفرق بين الحق والباطل. هذا، والله أعلى وأعلم وأحكم.

امتحان الدنيا وامتحان القبر

إعداد الشيخ/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله الكريم المتعال، والصلاة والسلام على سيد الرجال.

وبعد؛ فمع اقتراب موسم امتحانات نهاية العام، نتذكر بامتحان الدنيا امتحان القبر، وهما امتحانان مهمان ومختلفان في الإسلام، يمثلان مرحلتين مختلفتين من الاختبار والتقييم للإنسان، ولكن الفارق كبيرٌ بين امتحان الدنيا وامتحان القبر.

أولا: مكان الامتحان:

(١) امتحانُ الدُّنيا مُهيأٌ ولَهُ جوٌ مُريحٌ هادئٌ، ومكانٌ معدٌ المَقاعدُ مُريحةٌ، الأنوارُ ساطعةٌ، الماءُ موجودٌ، والمكيفات باردة، والأمنُ والأمانُ والهدُوءُ كُلُّهُ موجودٌ في قاعات الامتحان.

(٢) امتحان القبر: عن عُثمان بْن عفَّان قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ما رأيْتُ منْظرًا قطُّ إلَّا والْقبْرُ أفْظعُ منْهُ. سنن الترمذي (٢٣٠٨)، صحيح الجامع (١٦٨٤).

(ما رأيْتُ منْظرًا) أيْ موْضعًا يُنْظرُ إليْه وعبّر عن الْموْضع بالْمنْظر مُبالغَة (قطُّ) أيْ أبدًا (إلا القبر أفْظعُ منْهُ) منْ فظُع الْأمْرُ اشْتدّتْ شناعتُهُ وجاوز الْمقْدار في ذلك يعْني أشدُّ وأفْظعُ وأنْكرُ منْ ذلك الْمنْظر؛ أيْ ما رأيْتُ منْظرًا فظيعًا على حالة منْ أحْوال الْفظاعة إلَّا في حالة كوْن الْقبْر أقْبح منْهُ. (تحفة الأحوذي ٦/٤٩١).

٣- امتحان القبر موقف عصيب، ومكان عجيب، مكان دفن الإنسان بعد موته، وهو عبارة عن حُفرة مُستطيلة الشكل بمساحة جسم الإنسان المتوفى وعمق لا يتجاوز المترين في الغالب. تُوضع الجثة في القبر ويُغطى بالتراب، وتُسمى قطعة الأرض التي تُخصص للقبور بالمقبرة. (القبر) لا تستطيع الحركة فيه كما تشاء، بل هناك ستوسد التراب، وسيحيط بك الظلام من كل ناحية، وسيذهب عنك الأهل والأحباب! وأنت تسمع قرع نعالهم.

ثانيا: لجنة الامتحان (المراقبين)

(١) أعضاء لجنة الامتحان في الدنيا: رقيب

الامتحان في الدُنيا بشرٌ، قُدرتُه محدُودةٌ، لا يستطيعُ أن يُحيطَ بالمُتحنين، قد يُحتال عليه، وقد يسهُو، وقد ينشغل، وقد يتنازل عن مهمته بعرض من الدُنيا، وقد يخون الأمانة من أجل عرض دنيوي، نتكلم معهم ويتكلمون معنا، ويهونون علينا الأمر.

(٢) في امتحان القبر: منكر ونكير: عنْ أبي هُريْرة قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قُبر الميتُ أتاهُ ملكان أسْودان أزْرقان، يُقالُ لأحدهما: المُنكر، وللآخر: النكير. سنن الترمذي (١٠٧١).

(المُنكر) بمعنى نكر إذا لم يعرفْ أحدًا (وللآخر النكير) لم يعرفْهُ أحدٌ فهما كلاهما ضدُ المعْروف سُميا بهما لأن الميت لم يعرفْهما ولم ير صُورةً مثل صُورتهما. (تحفة الأحوذي ٤/١٥٥).

من صفات وأوصاف لجنة امتحان القبر مثلاً:

(١) لون الوجه: (أتاهُ ملكان أسْودان) سود الوجوه.

(٢) لون العيون: زرق العيون (أتاهُ ملكان أسْودان أزْرقان).

(٣) حجم العيون: زاد الطبراني في الأوسط (٤٦٢٩) عنْ أبي هُريْرة "عيْنُهما مثل قدور النحاس". (فتح الباري ٣/٢٣٧)؛ القدر إناء يُطبخ فيه؛ فدل ذلك على اتساع عيون منكر ونكير.

- (وأبصارُهما مثل البرْق الخاطف) يخرج من هذه العيون ضوء شديد لامع يكاد يخطف عين الناظر إليه كالبرق مثل الضوء الخارج من اللحام.

(٤) الأنياب والأسنان: في المعجم الأوسط للطبراني (٤٦٢٩) عنْ أبي هُريْرة (وأنْيابُهما مثْل صياصي البقر).. (يحفران بأنيابهما) (فتح الباري ٣/٢٣٧). ومعنى صياصي البقر أي قرون البقر، وما فائدة هذه الأنياب الكبيرة؟ لحفر القبر للوصول للميت.

(٥) الصوت: في المعجم الأوسط للطبراني (٤٦٢٩) عنْ أبي هُريْرة (أصْواتُهما كالرّعْد القاصف) فتح الباري

(٣/٢٣٧). وأصواتهما عالية جدًا لدرجة الفزع والقلق من قوتها مثل الريح الشديدة التي تقصف وتكسر ما تقابله.

(٦) الشعر: (ويطآن في أشْعارهما) فتح الباري (٣/٢٣٧).

(٧) معهُما مرزبةٌ: (معهُما مرزبةٌ لو اجْتمع عليْها أهْلُ منًى لم يُقلوها). فتح الباري (٣/٢٣٧).

بالله عليكم لو دخل علينا في هذا المكان اثنان بهذه المواصفات ماذا يكون رد الفعل؟! فما بالك وأنت وحدك في القبر، في حُفرة في الأرض ضيقة جدًا، شديدة الظلام، مُحكمة الغلق من كل مكان ليس فيها مكان للتهوية وللراحة.

ثالثا: نوع الأسئلة والنتيجة:

(١) امتحان الدنيا الأسئلة مجهولة وقد يتم تسريبها: أسئلة الامتحان في الحياة الدُنيا محدُودة ومقصُورة على بعض الكلمات والجمل والموضُوعات؛ لأنّه لا يُمكنُ أن يسأل المُتحنُ عن كُل دقيق وجليل من مُحتويات المنهج. أسئلة الدنيا لنا خيار في أن نجيب عما نعرفه ونترك ما لا نعرفه. ونتائجُ الامتحان في الحياة الدُنيا نسبتُها عاليةٌ جدًا في الغالب الأعم؛ لأنها امتحاناتٌ سهلةٌ، ويسيرةٌ جدًا، فقد تصل نسْبةُ النّجاح إلى تسعين في المئة وأكثر.

(٢) امتحان القبر الأسئلة والنتيجة الفورية: أسئلةُ الامتحان في القبر معلومة مسبقًا ومُشافهة ومباشرة ونتيجة الامتحان فورية: فعن البراء بْن عازب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدُنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السّماء ملائكةٌ بيض الوجوه، كأنّ وجوههُم الشمسُ، معهُمْ كفنٌ من أكفان الجنة، وحنوطٌ من حنُوط الجنة، حتى يجْلسُوا منه مد البصر، ثم يجيءُ ملكُ الموْت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتُها النّفْسُ الطّيّبةُ اخْرجي إلى مغفرة من الله ورضْوان، فتخْرُجُ تسيل كما تسيل القطْرةُ من في السّقاء، فيأخُذُها، فإذا أخذها، لم يدعُوها في يده طرْفة عيْن، حتى يأخُذوها فيجْعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنُوط، فيخْرُجُ منها كأطيب نفْحة مسْك، وُجدتْ

على وجه الأرض، فيَصْعَدُون بها فلا يمُرُّون بها على مَلَكٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيقولون: فُلانُ بنُ فُلانٍ بأحسَنِ أسمائه التي كانوا يُسمُّونَه بها في الدُّنيا - حتى ينْتَهُوا بها إلى السَّماء الدُّنيا فيَسْتَفْتِحون له فيُفْتَحُ له، فيُشَيِّعُه من كلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنتَهَى إلى السماء السابعة، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكْتُبوا كتابَ عبدي في عِلِّيِّين، وأعيدُوا عبدي إلى الأرض، فإنِّي منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخْرِجُهم تارةً أُخرى.

فتُعادُ رُوحُه، فيأتيه مَلَكان، فيُجْلِسانه، فيَقولان له: مَن ربُّكَ؟ فيقولُ: ربِّيَ الله، فيقولان له: ما دينُكَ؟ فيقولُ: دينيَ الإسلامُ، فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكُمْ؟ فيقولُ: هو رسولُ الله، فيقولان له وما علْمُكَ؟ فيَقولُ: قرأتُ كتابَ الله فآمَنتُ به وصَدَّقتُ، فيُنادي مُنادٍ من السماء أنْ صَدَقَ عَبدي، فأفْرِشُوه من الجنة، وألْبِسُوهُ من الجنة، وافْتَحُوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من رَوْحِها وطيبِها، ويُفسحُ له في قَبرِه مَدَّ بَصرِه، ويأتيه رَجلٌ حَسَنُ الوجه، حسنُ الثِّياب، طَيِّبُ الرِّيح، فيَقولُ: أبْشِرْ بالَّذي يَسُرُّكَ، هذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقولُ لهُ: مَن أنتَ؟ فوجْهُكَ الوَجْهُ يَجيءُ بالخير، فيَقولُ: أنا عَمَلُكَ الصالحُ، فيَقولُ: رَبِّ أقِمِ السّاعَةَ، ربِّ أقِمِ الساعةَ.

وإنَّ العبدَ الكافرَ (وفي رواية الفاجر) إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سُودُ الوجوه معَهُمُ المُسُوحُ، فيجلسُونَ منه مَدَّ البَصر، ثُمَّ يَجيءُ مَلَكُ الموت حتى يَجلسَ عندَ رأسه فيَقولُ: يا أيَّتُها النَّفْسُ الخَبيثةُ اخْرُجي إلى سَخَطٍ من الله وغَضَبٍ، فتَفَرَّقُ في جَسَدِه فينتزعُها كما يُنتزَعُ السَّفُّودُ من الصُّوف المَبْلُول، فيأخذُها، فإذا أخذَها لم يَدعُوها في يَدِه طَرفةَ عينٍ حتى يَجعَلُوها في تلكَ المُسوح، يخرجُ منها كأنْتَنِ ريحِ جيفةٍ، وُجِدَتْ على ظَهْرِ الأرض فيَصْعَدُونَ بها، فلا يمُرُّون بها على مَلَكٍ من الملائكة إلّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخَبيثُ؟ فيَقُولُون: فُلانُ بنُ فُلانٍ بأقْبَحِ أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدُّنيا، حتى يَنْتَهيَ بها إلى سماء الدُّنيا فيُسْتَفْتَحُ له، فلا يُفْتَحُ له، ثُمَّ قرأ: لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوابُ السَّماء قال: فيَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكْتُبُوا كتابَه في سِجِّين في الأرْضِ السُّفْلى.مسند أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

رابعا: هل هناك دور ثان وفرصة ثانية:

(١) الرسوب في الدنيا قد يكون أمـرًا هينًا ويسيرًا ويمكن أن يُعوَّض، وهناك فرص تُعوِّض في الدنيا من امتحان بديل، أو دور ثان، أو سنة أخرى.

(٢) أما امتحان القبر: فهو امتحان وحيد، يترتب عليه مُستقبل الشخص في البرزخ وفي الآخرة، فلا إعادة ولا دور ثان، وانما نتيجة أبدية: جنة أو نار. يصير قبر المؤمن روضة من رياض الجنة، ويرى مقعده من الجنة فيتمنى قيام الساعة لأن نعيم الجنة أعظم من نعيم القبر. وأما قبر الكافر فحفرة من حفر النيران ويرى موقعه من النار فيتمنى أن لا تقوم الساعة؛ لأن عذاب النار أشد من عذاب القبر.

خامسا: الاستعداد لأسئلة القبر:

عَن الـبَراء، قـالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في جنازَة، فجَلَسَ على شَفيرِ القَبْرِ، فبَكَى، حتَّى بَلَّ الثَّرى ثُمَّ قالَ: «يا إخْواني لمثْلِ هذا فأعِدوا». سنن ابن ماجه (٤١٩٥) وصحيح الترغيب(٣٣٣٨).

(١) السباق إلـى أي عمل صالح: قـال تعالى: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» (البقرة:١٤٨). وذلك حتى يشهد لك العمل الصالح ويُدافع عنك في قبرك قائلا: أنَا عَمَلُكَ الصَّالحُ كُنْتَ وَاللهِ سَرِيعًا في طَاعَةِ اللهِ، بَطيئًا عَنْ مَعْصيَةِ اللهِ فَجَزاكَ اللهُ خَيْرًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة

إعداد: الشيخ عبده أحمد الأقرع
فرع اختاواي

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فلا يخفى على كل مسلم -بحمد الله- مكانة الحج في دين الله، فهو ركن عظيم من أركان الإسلام، ثم هو حق مؤكد لله تبارك وتعالى علينا، إن استطعنا إليه سبيلاً. قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» (آل عمران: ٩٧). وقد أمر الله الخليل إبراهيم عليه السلام أن يصدع بذلك قال عز وجل: «وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (الحج: ٢٧).

وهو ركن عظيم من أركان هذا الدين؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». (متفق عليه، البخاري: (٨)، ومسلم: (١٦)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس! إن الله فرض عليكم الحج، فحجُّوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم،

واذا نهيتكم عن شيء فدعوه». (مسلم ١٣٣٧).
وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور». (متفق عليه: البخاري: ١٥١٩، ومسلم ٨٣).
والمبرور هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية.
والحج طهارة من جميع الذنوب والآثام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». (متفق عليه: البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥٠).
وبيّن صلى الله عليه وسلم أن الحج أفضل الجهاد؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال: «لَكُنَّ أفضل الجهاد: حج مبرور». (البخاري: ١٥٢٠).
ومن أعظم ما يشحذ: أي: يقوي همم أهل الإيمان، ويستنهض عزائمهم، حيث لم يرض-رب العزة سبحانه وتعالى- لمن أتى به على الوجه الشرعي ثوابًا إلا الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة». (متفق عليه: البخاري (١٧٧٣)، مسلم ١٣٤٩).
ألا ما أعظمها من مكرمات! وما أسعدها من لحظات يعيشها المسلم هي أسعد أيام حياته على الإطلاق! ولم لا؟ والذنوب مغفورة، والدرجات مرفوعة، والجزاء الجنة التي قال الله عز وجل عنها: «أعددتُ لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم» ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧)». (متفق عليه: البخاري (١٧٧٣)، مسلم ١٣٤٩).

آداب الحج والعمرة:

وحتى يظفر الحاج بهذا الذي وعد الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم يجب عليه أن يراعي في حجّه هذه الآداب:
أولاً: يجب على الحاج وغيره أن يُخلص نيته وقصده لله تعالى فيجعل عمله كله لله حتى يقع أجره على الله، وينال ثوابه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة: ٥). فلا رياء ولا سمعة، ولا انصراف عن الله إلى غيره. وذلك أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغيَ به وجهه. قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». (مسلم ٢٩٨٥)؛ فمن حج يبتغي الذكر والصيت انقلب إليه عمله، ولم يرفع فوق رأسه.
ثانيًا: المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فالإخلاص لله دون متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكفي ولا يجزئ. فأبى الله أن يقبل عملاً إلا إذا أخلص فيه صاحبه لله، وجرّد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو القائل عليه الصلاة والسلام: «خذوا عني مناسككم». (صحيح مسلم: ١٢٩٧).
وحذر صلى الله عليه وسلم من مخالفته: فقال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (متفق عليه: البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨).
وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد». (صحيح مسلم: ١٧١٨). أي: مردود عليه، غير مقبول.
ثالثًا: اجتناب الشرك بأنواعه وأشكاله:
وذلك أن الشرك أعظم ذنب عُصيَ الله به، وهو مُحبط للعمل. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

الخاسرين ﴿٦٥﴾ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين » (الزمر: ٦٥- ٦٦).

والمعنى: لئن أشركت يا محمد ليبطلن عملك الصالح، ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين بسبب ذلك، وهذا على سبيل تعليم أمته، وإلا فالرسول صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله وحاشا أن يشرك بالله، وهو الذي أرسله الله لإقامة صرح التوحيد.

فالشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل. فالعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا أدخل الشرك فيها فسدت كالحدث إذا دخل في الصلاة.

وأعظم مقاصد الحج: تحقيق التوحيد لله، والبعد عن الإشراك به، يقول سبحانه: « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا » (الحج: ٢٦)، فلا يجوز أن يلجأ العباد -في قضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم، وشفاء مرضاهم- إلا إلى من بيده وحده تصريف الأمور، ودفع الشرور، لا إله غيره، ولا معبود بحق سواه فالتوكل على الله وحده، وتفويض الأمور إليه دون غيره، واعتقاد أنه مالك النفع والضر دون سواه؛ أمور يجب على المسلم أن يعتقدها دينًا لله الواحد الأحد، لا يشركه فيها أحد من الخلق: قال الله تعالى: « قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون » (الزمر: ٣٨)؛ وقال تعالى: « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده » (يونس: ١٠٧).

فعلّق قلبك بربك أيها الحاج، وضع نُصب عينيك وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف ». (صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧).

رابعًا: التوبة النصوح ورد المظالم:

على الحاج أن يتوب من ذنوبه توبة نصوحًا. قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » (التحريم: ٨)، وإن للتوبة النصوح شروطًا:

١- الإقلاع عن الذنب، بأن يخلع نفسه من الذنب كما يخلع قميصه.

٢- الندم على ما فات، والتأسف عليه.

٣- العزم على أن لا يعود إلى هذا الذنب أبدًا.

٤- أن تقع التوبة حال الصحة والعافية قبل اليأس من الحياة ومعاينة ملك الموت. قال الله تعالى: « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » (النساء: ١٨).

٥- إذا كان الذنب متعلقًا بعباد الله فإن على التائب أن يرد على العباد حقوقهم إذا استطاع، وأن يتحللهم إن أمكن.

خامسًا: الاستعداد للحج بالعلم النافع، والفقه في الأحكام:

المسلم إنما يعبد الله على بصيرة وعلم، وإذا أوجب الله على العبد أن يحج إلى بيته، وجعل ذلك أحد أركان دينه؛ كان من الواجب على المسلم أن يتعلم ما يلزمه في حجّه.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يكتب لنا ولكل متشوق حج بيته الحرام، وأن يتقبل من الحجاج وأن يجعل حجهم مبرورًا، وسعيهم مشكورًا، وذنبهم مغفورًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الطائفة المنصورة بين الطوائف المنكوبة

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد،

مع اقتراب الساعة تتغير الأكوان، ويكثر الخلاف في الأوطان، وتتعدد مشارب أهل الزمان، وتزداد الفرقة ويفشو الطغيان، وكلٌ فرح بما فهمه من دلائل الوحي والفرقان.

وقد كثر الأدعياء، واختلطت المفاهيم حتى عند من نظنهم أسوياء، ولمناصرة الباطل أبرياء، وعن المخلطين والمخالفين أبعد الشركاء، وفي خضم هذه الفترات، تكثر الأقاويل والافتراءات، من أناس يدعون أنهم للحق مدافعون، وعن حياض الدين مناضلون، ولأعداء الله محاربون، وللإسلام ناصرون، وللسنة ونصرتها قائمون.

وللحق أقول: إن الدعاوى لا تقبل إلا ببينة، وكل إناء بما فيه ينضح، وكل طائفة تقاس بمعينها، وما تعتمد عليه في أصولها، واليوم نرى بونًا كبيرًا وخرقًا عظيمًا بين أبناء الملة، من افتراق الصف، وكثرة النقد، والاستخفاف بأعراض المخالفين والجراءة في الرد، وهذا لأنهم قد تأثروا بشيوخهم أو قادتهم أو المؤثرين على رؤيتهم أو مصلحة جماعتهم، ونصوص الوحي صارت عرضة للدفع والتأويل أو للرد لأنها بزعمهم عرضة للتعليل.

إلا طائفة أهل الحديث فإنهم للحق أدلاء، ومن الشرك برآء، ولدين الله ونصرته أوفياء، وللسنة ونصرتها أقوياء، فهم أهل السنة حقًا، والناصرون للسنة دومًا، والقامعون للبدعة وأهلها أزلًا، فكم عاندهم المعاندون، ووشى بهم الواشون، لكنهم لدين الله ظاهرون، وإن خذلهم المخذلون، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث المُغيرَةَ بْن شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ

وَهُمْ ظَاهِرُونَ، البخاري(٧٣١١)، ومسلم(١٩٢١).
وقد نقل كثير من السلف المعنى المقصود بهذه الطائفة، ففي كتاب شرف أهل الحديث للخطيب البغدادي عقد فصلاً في بيان هذا الحديث، ونقل نقولات عدة عن شرفهم، وساق روايات هذا الحديث فقال: قال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم؟!

وقال ابن المبارك: هم عندي أصحاب الحديث.
ونقل بإسناده عن الفضل بن زياد، يقول: سمعت أحمد بن حنبل، وذكر حديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، فقال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟.

وساق بإسناده أيضا عن أبي حاتم، قال: سمعت أحمد بن سنان، وذكر، حديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق»، فقال: هم أهل العلم وأصحاب الآثار.

ونقل عن أبي عيسى الترمذي قال: قال محمد بن إسماعيل " قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

ونقل عن البخاري قولا عظيمًا في شأن أهل الحديث قال محمد بن إسماعيل البخاري: كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبد الله، فقال: إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم»، إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم، لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم بالملكة، وأنتم تحيون سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد عقد الخطيب البغدادي فصلا في كتابه بعنوان: كون أصحاب الحديث أمناء الرسول صلى الله عليه وسلم لحفظهم السنن وتمييزهم لها. وساق عن أبي حاتم الرازي، قوله: «لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة، فقال: له رجل: يا أبا حاتم ربما رووا حديثا لا أصل له ولا يصح؟ فقال: " علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها، ثم قال: «رحم الله أبا زرعة، كان والله مجتهدا في حفظ آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم» ونقل عن كَهْمَس الْهَمْدَانِيِّ قال: " مَنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ حَفَظَةُ الدِّينِ، فَإِنَّهُ يُعَدُّ فِي ضُعَفَاءِ الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لا يَدِينُونَ اللهَ بِدِينٍ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص:٤٤): «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا» (الزمر: ٢٣)، وَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَدَّثَنِي جِبْرَائِيلُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "

وعقد فصلا آخر بعنوان: كَوْنُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ حُمَاةَ الدِّينِ بِذَبِّهِمْ عَنِ السُّنَنِ. وساق بإسناده عن سفيان الثوري، قال: «الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض»

ثم عقد فصلا هاما حول استحقاق أصحاب الحديث الاستقامة على الطريقة فقال: من قال: إن الحق مع أصحاب الحديث

ونقل عدة آثار في ذلك فمنها ما نقاه عن هارون الرشيد، يقول: " طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث"

ونقل عن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد بن قريش العنبري البصري، يقول: «كل من ذهب إلى مقالة، ففزع منها إلى غير الحديث، فإلى الضلالة يصير»

وقد نقل الإمام الذهبي عن الشافعي قوله: عَلَيْكُمْ بِأَصْحَابِ الْحَدِيْثِ، فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ صَوَابًا - سير أعلام النبلاء(١٠/٧٠). وقد عقدت فصلا في كتابي

(تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء) حول فضل أهل الحديث فانظره فإنه هام.

ولو عددنا مناقب أهل الحديث لطال الحديث فهو بحر لا ساحل له. لكن بحسبك أن تعلم أن أهل الحديث هم: أهل السنة والجماعة. وهم الفرقة الناجية فمن لم ينج باتباع الحديث فبما ينجو؟!. قال شيخ الإسلام أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (مجموع الفتاوى ٣٤٧/٣). و هم الطائفة المنصورة فمن لم ينتصر بالحديث فبم ينتصر؟! ، وهم الظاهرون على الحق إلى قيام الساعة. فمن لم ينتصر بالحديث فبم ينتصر فإن ألسنتهم تنطق به وقلوبهم تلهج به. وأهل الحديث هم أهل النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يصحبوا نفسه، أنفاسه صحبوا.

وأهل الحديث، ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله ،وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها تصديقا وعملاً، وحبا وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، يردونه إلى الله ورسوله ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف فما كان من معانيها موافقًا للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفا للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم وجماع الشر الجهل والظلم)) (مجموع الفتاوى ٣٤٧/٣).

وأهل الحديث ليسوا حزبا أو فرقة من فرق الأمة بل يجمعهم منهج وإن تشعبت بلادهم وتفرقت أوطانهم، وقد قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: قال القاضي عياض إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث. قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض، وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث. شرح النووي على مسلم (٦٥/١٣).

وبحمد الله لن تخلو الأرض من هذه الثلة المؤمنة المباركة، وقد متعنا الله تعالى برؤوس هذه الطائفة، وكانوا منذ بدء هذه المجلة الغراء: "الهدي النبوي" ثم "التوحيد" لهم قلم سيال، يكتب ويدافع عن السنة النبوية في أعدادها، وكان على رأس هؤلاء العلامة المحدث أحمد محمد شاكر رحمه الله المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ ومؤلفاته وتحقيقاته سارت بها الركبان، وانتفع بها خلق في كل قطر ومكان، وسار على منواله المحدث أبو إسحاق الحويني عليه رحمة الله، وكان أقرب الناس لأبي الأشبال أحمد شاكر في طريقته وتصنيفه فكلاهما قد شرعا في أمهات عدة، وكلاهما قد توفيا قبل أن يستكملا عملهما، وما كان ذلك إلا لعلو الهمة والحرص على نفع الأمة ودفع الدخيل عن السنة. فاللهم اجزهما عنا خير الجزاء، وشفّع فيهما النبي المصطفى، واقبل شفاعتنا فيهما إنك يا ربنا قريب الدعاء. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غزوة حَمْرَاء الأسد

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد: فنحن على موعد مع يوم من أيام النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهو يوم "غزوة حمراء الأسد".

أولاً: ذكر الحديث ملخصاً:

كانت يوم الأحد بعد أحد بيوم واحد فقط؛ لست عشر ليلة مضت من شوال.

وقد سبق أن ذكرنا ما أصاب المسلمين في غزوة أحد، وأنه قد استشهد منهم سبعون، وأصيب منهم الكثير حتى بلغت الإصابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد هذا كله قام المشركون بالانصراف من أرض المعركة، ولم يتوجهوا نحو المدينة، وفي الوقت نفسه لم يقوموا بمحاولة أخرى للإجهاز على المسلمين، وقد نزل في شهداء أحد قوله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».

وكذلك نزلت آيات القرآن الكريم لتمسح جراحات المسلمين، وتزيل عنهم آثار أحد؛ ومنها قوله: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

وقد تزامن مع هذا الحدث الجلل أن كان المسلمون يواجهون في المدينة اليهود الشامتين والمنافقين المرجفين... ويواجهون في أطراف المدينة الأعراب المشركين الذين كانوا يتطلعون بشراهة إلى ثمار المدينة وخيراتها.

وكان ثمة احتمال أن تندم قريش؛ فتعود لمهاجمة المدينة؛ فكان لا بد من التحرك السريع لاستعادة موقع المسلمين، والاحتفاظ بمكانتهم، ومن هنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش الذي شهد "أُحُدًا" أن يخرج لمطاردة جيش قريش إلى حمراء الأسد؛ رغم إصابة الكثيرين منهم بالجراح، ولم يأذن لسواهم بالاشتراك في حملة المطاردة هذه،

وقد سارع سبعون من الصحابة للاشتراك، ثم بقية الجيش فصار عددهم ستمائة وثلاثين. (السيرة النبوية للعمري: ٢/ ٣٩٦).

ثانيا: الدروس والعبر:

الأولى: خروج الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوزيع المهام وسنة الاستخلاف.

حَمَلَ لواءَ المُسلمينَ عليُّ بنُ أبي طالب-رضي الله عنه-، واستَعمَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى المدينة ابنَ أمِّ مكتوم، وخَرَجَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ مَجرُوحٌ في وجهه، وَمَشجُوجٌ في جَبهَته، وَقَدْ كُسرَتْ رَبَاعيتُهُ، وَهُوَ مُتَوَهِّنٌ مَنْكبُهُ الأيمَنُ منْ ضَرْبَة ابْن قَمئَة، وَرُكبَتَاهُ مَجحُوشَتَان، وخَرَجَ مَعَهُ جَميعُ مَنْ حَضَرَ القتَالَ بأُحُد عَلَى مَا بهمْ منَ الجرَاح وَالقَرْح. (الطبَقات الكُبْرى ٢/ ٢٧٤). وَمَضَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَدَليلُهُ في السَّيْر ثَابتُ بنُ الضَّحَّاك الخَزرَجيُّ، حَتَّى عَسْكَرَ بحَمْرَاءِ الأسَد، الأغصان الندية وهي على بعد ثمانية أميال-حوالي عشرين كيلو- جنوب المدينة المنورة، ففر المشركون وَأَقَامَ المُسْلمُونَ بذَلكَ المَكَان ثَلاثَ لَيَال: الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة. (جوامع السيرة: ص١٧٥).

الثانية: سبب الغزوة:

هو مَا بَلَغَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبي سُفْيَانَ: أَنَّهُ يُريدُ الرُّجُوعَ إلَى المَدينَة؛ ليَسْتَأْصلُوا مَنْ بَقيَ منْ أَصْحَاب الرَّسُول صلى الله عليه وسلم؛ عن ابْن عَبَّاس رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا انْصَرَفَ المُشْرِكُونَ عَنْ أُحُد، وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ-، هو موضعٌ بينه وبين المدينة ستة وثلاثين ميلًا- قَالُوا: لا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلا الكَوَاعبَ -أي: الفتيات البالغات- أَرْدَفْتُمْ، وَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ ارْجعُوا، فَبَلَغَ ذَلكَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَنَدَبَ النَّاسَ، فَانْتَدَبُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الأَسَد، وَبئْرَ أَبي عنَبَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ» (آل عمران: ١٧٢)... فَلَمْ يَجدُوا به أحَدًا وَتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تعَالَى «فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ» (آل عمران: ١٧٤). أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٠١٧)، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٩/ ٩٦).

الثالثة: في شجاعة النبي صلى الله عليه وصبره:

تأملوا يا عباد: شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وصبرهم، وشدتهم في دين الله تعالى، وتأمل كيف يخرجون يتتبعون العدو رغم ما هم فيه من الجراح، وهذا التتبع فعل المنتصر لا فعل المنهزم، وشتان بين الهزيمة على الأرض، والهزيمة في القلب، والنفس: فالمسلم الحق، وإن أصابه القتلُ في أهله، والجراحُ والأسرُ في نفسه، وإن انهزمَ على الأرض في بعض المواقع لا ينهزمُ قلبُه، ولا تلينُ نفسُه، وهذا حال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة.

فتلحظ عند التأمل: أنهم انتصروا أول الأمر في غزوة أحد؛ فكان نصرًا لكلمة الله ولمن عمل بها فلما وقعت المخالفة؛ كان النصر لكلمة الله؛ وتأديبًا لمن خالفها من المؤمنين بها؛ أدبا يحفظ ليوم القيامة؛ فسلط عليهم عدوهم ساعة من النهار؛ فلما حفظوا الدرس؛ فرَّ العدو محتفظا بما أحرزه من النصر؛ فخرج المسلمون في حملة المطاردة: لحمراء الأسد، وهذا يعني أن حملة المشركين على المدينة لم تنجح، ولكنَّ أن الله اصطفى جماعة شهداء، وأدب الآخرين، وعلم الأمة ليوم الدين؛ وهذا يبين: أن الخاتمة نصرٌ للمؤمنين؛ فالهزيمة بين نصرين؛ ثم الهزيمة نفسها نصر للشرع، ولكلمة الله-تعالى- وهذا هو التاج الأعظم والدرس الأظهر في الغزوة.

الرابعة: الفقه العسكري:

حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع ميدان الحرب بعيدا عن المدينة كما فعل أول مرة في بداية الحرب، ويسابق بمن معه العدوَّ إلى الميدان، ولا ينتظرون هجومه عليهم، وبهذا أثني الله عليهم وهي الفائدة...

الخامسة: ثناء الله عليهم:

واعتبار خروجهم هذا من الشرف الذي يذكر للأجيال بعد ذلك وتسليةُ الرَّسُول والمُؤْمنِينَ به وتَثْبيتُهُمْ وَتَعْزِيَتُهُمْ لما أَصَابَهُمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ أُحُدٍ وغَيْره؛ قال الله تعالى: « ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » (آل عمران: ١٧٢-١٧٤).

السادسة: التربية بالقصة والتماس القدوة في حال السابقين، والثناء عليهم بالجميل من مواقفهم أمام الأجيال اللاحقة:

ومن ذلك أن عائشة رضي الله عنا تأثر هذا الشرف الشريف لابن أختها!؛ فعن عروة عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، في قوله: «الَّذينَ اسْتَجَابُوا لله وَالرَّسُول مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ للَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ»، أنها قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ:-الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ-، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: "مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ" فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ. (صحيح البخاري ٤٠٧٧).

تأمل قولها (كان أبواك منهم) منقبة تروى عبر الأجيال، وتربية والتماس للقدوة والأسوة بين المواقف والأحداث، وكأني بها تقول لعروة وللأمة في شخص عروة كونوا مثل أبويكم أبو بكر والزبير! ولعل مثلها يروى، ويقال فيمن يقوم اليوم في وجه الصهاينة - اليوم- رغم ما أصابه من القرح! وقد رأيناهم رأي عين! ولعل الله يبقي من نسلهم من يقول لأبنائه - يا بني كان أبواك منهم- فاللهم نصرك الذي وعدت به عبادك المؤمنين!.

وهذا نموذج يحتذى ويفخر به من يتصل بهؤلاء ويتأسى بهم في الصبر والثبات والطاعة لله عز وجل؛ عَنْ رجل مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَالَ: شَهِدْتُ أُحُدًا أَنَا وَأَخٌ لِي، فَرَجَعْنَا جَرِيحَيْنِ، فَلَمَّا أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ بِالْخُرُوجِ فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ قُلْتُ لِأَخِي وَقَالَ لِي: أَتَفُوتُنَا غَزْوَةٌ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ؟! وَالله مَالَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرْكَبُهَا وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ؛ فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ أَيْسَرَ جُرْحًا مِنْهُ، فَكَانَ إِذَا غُلِبَ حَمَلْتُهُ عُقْبَةً وَمَشَى عُقْبَةً، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ. (السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٩٨).

فيا لها من كلمة يطوف الفكر حولها أسبوعا إلى ما شاء الله-عجبا واعجابا- كلما قرأها: " أَتَفُوتُنَا غَزْوَةٌ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ؟!".

السابعة: في عظمة التوكل وفضيلة قول "حسبنا الله ونعم الوكيل:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، "قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: «إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ » (آل عمران: ١٧٣)" صحيح البخاري (٤٥٦٣).

والمعنى: أنهم قالوا معبّرين عن صادق إيمانهم بالله: الله يكفينا ما يهمنا من أمر الذين جمعوا الجموع لنا، فهو لا يعجزه أن ينصرنا على قلّتنا وكثرتهم وقد كان الأمر كما اعتقدوا، فألقى الله الرعب في قلب أبى سفيان وجيشه على كثرة عددهم وتوافر عددهم، فولّوا مدبرين، وكان في ذلك عزة لله ولرسوله وللمؤمنين. المراغي (٤/ ١٣٥).

وعن ابن عباس، أنها " آخر كلمة قالها إبراهيم" (البخاري: ٤٥٦٤).

وعن ابن عمرو، قال: أنها "أول كلمة" ابن أبي شيبة (٣٥٨٢٧)؛ فكأنه لم يقل غيرها فهي الأولى

والأخيرة، وهكذا يكون التوكل حقًا.

الثامنة: التوكل مقرون بالأخذ بالأسباب:

قال ابن القيم: وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، يوم أحد، لما قيل لهم بعد انصرافهم من أحد: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ» (آل عمران: ١٧٣)؛ فتجهزوا وخرجوا للقاء عدوهم، وأعطوهم الكيس من نفوسهم، ثم قالوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (آل عمران: ١٧٣)؛ فأثرت الكلمة أثرها، واقتضت موجبها، ولهذا قال تعالى: «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (الطلاق: ٢- ٣)، «ومن يتوكل على الله فهو حسبه»؛ فجعل التوكل بعد التقوى الذي هو قيام الأسباب المأمور بها، فحينئذ إن توكل على الله، فهو حسبه، وكما قال في موضع آخر: «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (المائدة: ١١)؛ فالتوكل والحسب بدون قيام الأسباب المأمور بها عجز محض، فإن كان مشوبا بنوع من التوكل، فهو توكل عجز، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزا، ولا يجعل عجزه توكلا، بل يجعل توكله من جملة الأسباب المأمور بها التي لا يتم المقصود إلا بها كلها... زاد المعاد (٢/ ٣٣٠).

التاسعة: تخويف الأعداء وإرهابهم في الحرب، وعدم إظهار الضعف، والجراح:

وقال ابن إسحاق: وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو؛ ليبلغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

وقال ابن حزم: فخرج المسلمون على ما بهم من الجهد والجراح، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرهباً للعدو ومتجلدا. (جوامع السيرة: ص١٧٥).

العاشرة: موقف عظيم لجابر رضي الله عنه:

عن جابر رضي الله عنه قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع، أو قال تسع، وقال: يا بني! إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي، فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، ولا أحب أن تتوجه وجها إلا كنت معك، فأذن لي أخرج معك، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال يوم أحد غيره. (تفسير الطبري: ٨٢٣٣).

الحادية عشرة: رجوع أبي سفيان بجيشه إلى مكة:

ومر معبد بن أبي معبد الخزاعي على النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ثم أتي أبا سفيان، والمشركين؛ فأخبرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه قد خرجوا في طلبهم؛ ففت ذلك في أعضاد قريش، وكانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة؛ فثناه ذلك، واستمروا راجعين إلى مكة محتفظين بما أحرزوه من النصر. (الفصول في السيرة: ص١٥٢، وانظر تفصيل الخبر في السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ١٠٣).

وبهذا نرى أنه لا شك أن غزوة حمراء الأسد حققت الأهداف المرسومة بإظهار قدرة المسلمين على التصدي لخصومهم من الأعراب وقريش رغم ما أصابهم في أحد، فإنهم إذا كانوا قادرين على التحرك العسكري خارج المدينة؛ فهم أقدر على مواجهة اليهود والمنافقين داخلها.

وهذا يبين لنا الفرق بين من توكل على الله وبين غيره؛ أما الأول: فإن قلبه لا ينهزم ولا يتراجع؛ فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

والحمد لله رب العالمين.

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

يوجد مجلدات السنوات القديمة
سعر المجلد ٢٥ جنيه
بدلاً من ٥٠ جنيه
حتى عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه
سعر الكرتونة بدلاً من
~~١٥٠٠~~ جنيه
لفترة محدودة

هدايا قيمة
لأول ١٠٠ مشترٍ

سعر المجلد الجديد
١٠٠ جنيه

لعام ١٤٤٣ هـ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

علم نافع لا يستغني عنها البيت المسلم»

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢